حديث القرآن عن إسماعيل وإسحاق عليهما السلام

إعداد

د. سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين

عضو هيئة التدريس في قسم أصول الدين

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء

ملخص البحث

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في كتاب الله تعالى مقترنين، وورد ذكرهما مستقلين؛ ذكر إسماعيل عليه السلام اثنتا عشرة مرة، وإسحاق عليه السلام سبع عشرة مرة، اشتركا في ثمان سور، وانفرد إسحاق عليه السلام بالذكر في أربع سور.

وجميع الآيات التي ورد فيها ذكر إسحاق عليه السلام كان مقترناً بذكر والده إبراهيم عليه السلام ومتصلاً به، ولم يرد الحديث عنه منفرداً.

أما إسماعيل عليه السلام فقد انفرد بالذكر استقلالاً في أربعة مواضع.

فكانت هذه الدراسة التفسيرية القائمة على الاستقصاء والتتبع والنظر والتأمل في الآيات التي ورد فيها ذكرهما، وسبر أقوال المفسرين في أحوال ذكر هذين الأخوين النبيين الكريمين، وما امتاز به كل واحد منهما لنخلص بعد ذلك لمعرفة الحكمة من ترك التصريح باسم أيهما كان الذبيح، وما الدلائل التي ترجح من خلال هذا العرض المتكامل لذكرهما في القرآن الكريم أيهما كان الذبيح على سبيل القطع والجزم، مع محاولة الإجابة عن الأسئلة التي عرضت لي أثناء البحث مما وجدته من كلام المفسرين يصلح جواباً، ومما اجتهدت في الإجابة عنه، سائلاً الله عز وجل التوفيق والسداد.

ولم أر من سبق لبحث أحوال ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام بحثاً مستقلاً قائماً على التقصي والتتبع والنظر والتأمل فرأيت أن أكتب في ذلك ما يكون فيه بإذن الله إضافة فريدة في التفسير الموضوعي

لأحوال الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وقد تكون البحث في موضوع: إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وذكرهما في القرآن الكريم، من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما **المقدمة** فذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الكتابة فيه، وذكرت في التمهيد إحصائية بعدد مرات ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في القرآن الكريم، والسور التي جمعت ذكرهما والسور المنفردة مع بيان هذه السور هل هي مكية أو مدنية.

الفصل الأول: السور التي اجتمع فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وفيه مباحث بعدد السور؛ وهي ثمان سور: البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، إبراهيم، مريم، الأنبياء، ص.

الفصل الثاني: السور التي انفردت بذكر إسحاق عليه السلام، وفيه مباحث بعدد هذه السور؛ وهي ثلاث سور: هود، يوسف، العنكبوت.

الفصل الثالث: سورة الصافات. وأفردتها بفصل خاص لأن فيها قصة الذبيح، وتحتمل دخولها في الفصل الأول وتحتمل دخولها في الفصل الثاني فلذلك أفردتها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها بعد هذه التأملات في الآيات الواردة في ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فهذا بحث لطيف مختصر يتناول حديث القرآن الكريم عن أخوين كريمين أكرمهما الله ﷻ بالنبوة، و لم يثبت التقاؤهما في الدنيا، وبقي ذكرهما الحسن إلى يوم القيامة، ولدان كريمان وهبهما الله ﷻ لخليله إبراهيم عليه السلام الذي أتى الله بقلب سليم مخلص "فدفع الله عنه عذاب الدنيا وهو عذاب النار"[1] الذي أراده له قومه، "وكان وحيداً فريداً فبدل وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته، ولما كان أولاً قومه وأقاربه القريبة ضالين مضلين من جملتهم آزر، بدل الله أقاربه بأقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة والكتاب، وكان أولاً لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنيوية آتاه الله أجره من المال والجاه"[2].

إنهما إسماعيل وإسحاق عليهما السلام؛ الذَين حمد اللهَ ﷻ إبراهيمُ عليه السلام على أن وهبه إياهما فقال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم/٣٩].

وقد ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في كتاب الله تعالى مقترنين، وورد ذكرهما منفردين؛ ذُكر إسماعيل عليه السلام اثنتا عشرة مرة، وإسحاق عليه السلام سبع عشرة مرة، اشتركا في ثمان سور، وانفرد إسحاق عليه السلام بالذكر في ثلاث سور[3].

(١) تفسير الرازي ١٢/١٥٥

(٢) المرجع السابق.

(٣) سيأتي تفصيل ذلك في التمهيد بإذن الله تعالى.

وجميع الآيات التي ورد فيها ذكر إسحاق عليه السلام كان مقترناً بذكر والده إبراهيم عليه السلام ومتصلاً به، ولم يرد الحديث عنه منفرداً.

وأما إسماعيل عليه السلام فقد انفرد بالذكر استقلالاً في أربعة مواضع[1].

فكانت هذه الدراسة التفسيرية الموضوعية القائمة على الاستقصاء والتتبع والنظر والتأمل في الآيات التي ورد فيها ذكرهما، وسبر أقوال المفسرين في أحوال ذكر هذين الأخوين النبيين الكريمين، وما امتاز به كل واحد منهما لنخلص بعد ذلك لمعرفة الحكمة من ترك التصريح باسم أيهما كان الذبيح، وما الدلائل التي ترجح من خلال هذا العرض المتكامل لذكرهما في القرآن الكريم أيهما كان الذبيح على سبيل القطع والجزم بإذن الله تعالى، مع محاولة الإجابة عن الأسئلة التي عرضت لي أثناء البحث مما وجدته من كلام المفسرين يصلح جواباً، ومما اجتهدت في الإجابة عنه، سائلاً الله عز وجل التوفيق والسداد.

وقد أفردت كل سورة ورد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام أو أحدهما بمبحث مستقل سوى سورتين؛ هما: الحجر، والذاريات، التين ورد فيهما البشارة لإبراهيم عليه السلام بالغلام العليم، ولم يرد التصريح باسمه، ولما كان سياق ذكر البشارة في السورتين مطابقاً لما ذكر في سورة هود عليه السلام؛ فإني اكتفيت بالإشارة إلى سورتي الحجر والذاريات عند الحديث عن آيات سورة هود طلباً للاختصار.

ولم أرَ من سبق لبحث أحوال ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام بحثاً مستقلاً قائماً على التقصي والتتبع والنظر والتأمل فرأيت أن أكتب في ذلك ما يكون فيه بإذن الله إضافة في التفسير الموضوعي لأحوال

(١) سيأتي ذكرها في التمهيد بإذن الله تعالى.

الأنبياء والرسل عليهم السلام.

وقد تكون البحث في موضوع: إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وذكرهما في القرآن الكريم، من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وفهرس المراجع وآخر للموضوعات.

أما **المقدمة** فذكرت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الكتابة فيه، وذكرت في التمهيد إحصائية بعدد مرات ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في القرآن الكريم، والسور التي جمعت ذكرهما والسور المنفردة مع بيان هذه السور هل هي مكية أو مدنية.

الفصل الأول: السور التي اجتمع فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وفيه مباحث بعدد السور؛ وهي ثمان سور: البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، إبراهيم، مريم، الأنبياء، ص.

الفصل الثاني: السور التي انفردت بذكر إسحاق عليه السلام، وفيه مباحث بعدد هذه السور؛ وهي ثلاث سور: هود، يوسف، العنكبوت.

الفصل الثالث: سورة الصافات. وأفردتها بفصل خاص لأن فيها قصة الذبيح، وتحتمل دخولها في الفصل الأول وتحتمل دخولها في الفصل الثاني فلذلك أفردتها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها بعد هذه التأملات في الآيات الوارد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

التمهيد

عدد مرات ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام وعدد السور

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام مقترنين، وورد ذكرهما منفردين؛ ذكر إسماعيل عليه السلام اثنتا عشرة مرة، وإسحاق عليه السلام سبع عشرة مرة، اشتركا في ثمان سور، وانفرد إسحاق عليه السلام بالذكر في أربع سور.

وجميع الآيات التي ورد فيها ذكر إسحاق عليه السلام كان مقترناً بذكر والده إبراهيم عليه السلام ومتصلاً به، و لم يرد الحديث عنه منفرداً.

أما إسماعيل عليه السلام فقد انفرد بالذكر استقلالاً في أربعة مواضع، وتفصيل ما سبق كالتالي:

* السور التي اجتمع فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام:

أولاً: سورة البقرة؛ ورد فيها ذكر إسماعيل عليه السلام خمس مرات، وورد فيها ذكر إسحاق عليه السلام ثلاث مرات مقترناً بذكر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام؛ وهذه الآيات هي:

١-﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[البقرة/١٢٥].

٢- ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[البقرة/١٢٧].

٣- ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا

وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة/١٣٣].

٤- ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[البقرة/١٣٦].

٥- ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾[البقرة/١٤٠].

ثانياً: سورة آل عمران؛ ورد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام مرة واحدة مقترناً بذكر أبيهما إبراهيم عليه السلام في سياق آيات مناظرة النصارى.

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران/٨٤] .

ثالثاً: سورة النساء؛ ورد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام مقترناً بذكر أبيهما إبراهيم عليه السلام في سياق الحديث عن الوحي المنزل على نبينا محمد ﷺ.

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾ [النساء/١٦٣].

رابعاً: سورة الأنعام؛ في سياق الحديث عن إبراهيم عليه السلام وما خصه الله عز وجل به من جعل النبوة والكتاب في ذريته.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[الأنعام/٨٣-٨٦].

خامساً: سورة إبراهيم عليه السلام؛ ورد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام مقترناً بذكر أبيهما إبراهيم عليه السلام.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم/٣٩].

سادساً: سورة مريم؛ ورد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في آيتين منفصلتين تابعاً لذكر إبراهيم عليه السلام في مناظرته لأبيه.

﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾[مريم/٤٩].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم ٥٤-٥٥].

سابعاً: سورة الأنبياء عليهم السلام؛ ورد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام تابعاً لذكر أبيهما إبراهيم عليه السلام آيتين منفصلتين

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء/٧٢].

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾ [الأنبياء/٨٥].

ثامناً: سورة ص: ورد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام تابعاً لذكر أبيهما إبراهيم عليه السلام في آيتين منفصلتين

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص/٤٥-٤٨].

*** السور التي ذكر فيها إسحاق عليه السلام منفرداً عن أخيه إسماعيل عليه السلام:**

ورد ذكر إسحاق عليه السلام منفرداً عن ذكر أخيه إسماعيل عليه السلام في ثلاث سور؛ هي:

أولاً: سورة هود عليه السلام؛ في سياق الحديث عن ضيف إبراهيم عليه السلام من الملائكة الذين جاؤوا بخبر تعذيب الله لقوم لوط عليه السلام.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود/٧١].

ثانياً: سورة يوسف عليه السلام في موضعين: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف/٦].

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يوسف/٣٨].

ثالثاً: سورة العنكبوت؛ بعد ذكر دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه وإنجاء الله له من نارهم.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[العنكبوت/٢٧]

* * *

الفصل الأول

السور التي اجتمع فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام

المبحث الأول: سورة البقرة

ورد ذكر إسماعيل عليه السلام في سورة البقرة خمس مرات، وذكر إسحاق عليه السلام ثلاث مرات؛ وهذه هي الآيات:

١) ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾.

٢) ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾.

٣) ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾.

٤) ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.

٥) ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً

عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ .

جميع الآيات التي ورد فيها ذكر إسماعيل عليه السلام في سورة البقرة كان مقترناً بذكر أبيه إبراهيم عليه السلام مسبوقاً بحرف العطف الواو.

وهذه الآيات تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الموضع الأول آية (١٢٥) والثاني (١٢٧) في الحديث عن بناء الكعبة.

القسم الثاني: المواضع الثلاثة المتبقية الآيات (١٣٣) و (١٣٦) و(١٤٠) في الحديث عن أهل الكتاب، وإقامة الحجة عليهم في وجوب الإيمان بنبينا محمد ﷺ بالتذكير بانتسابه إلى إسماعيل عليه السلام، ولذا جاء ذكر إسماعيل عليه السلام في هذه المواضع الثلاثة مقترناً بأبيه وأخيه إسحاق عليهما السلام، والتذكير بأن دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واحدة فيجب الإيمان بهم وبما أنزل الله عليهم ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ .

فتبين مما سبق أن إسماعيل عليه السلام قد خصه الله عز وجل بشرف بناء البيت مع أبيه إبراهيم عليه السلام وأن الله قد عهد إليه مع أبيه بذلك؛ قال تعالى: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾، والتذكير في الآيات ببنائهما البيت، وبيان شرف البيت ومكانته ووجوب تعظيمه، والخبر عن دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بأن يبعث الله في أهل البيت رسولاً منهم، ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا

وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾[البقرة/١٢٧-١٢٩] لبيان حال نبينا محمد ﷺ، وشرف نسبه وصدقه في دعوته، وإقامة الحجة على أهل الكتاب في وجوب الإيمان به وتصديقه.

ولم يرد لنبي الله إسحاق عليه السلام ذكر هنا؛ لأنه كان في بيت المقدس وخصه الله عز وجل بشرف مجاورة أبيه، ورزقه الله بيعقوب الذي بارك الله له في ذريته؛ فكانت فيهم النبوة والرسالة، ومنهم يوسف عليه السلام وإخوته، والله أعلم.

* * *

تفسير الآيات التي ورد فيها ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في سورة البقرة

الآية الأولى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة/١٢٥]

المراد بالبيت هنا: "الكعبة، والألف واللام تدخل للمعهود أو للجنس فلما علم المخاطبون أنه لم يرد الجنس انصرف إلى المعهود"[١].

ولما كان المقصود جميع الحرم اقتصر على ذكر البيت لأنه سبب المثابة والأمن؛ قال الرازي: "ليس المراد نفس الكعبة، لأنه تعالى وصفه بكونه (أمناً) وهذا صفة جميع الحرم لا صفة الكعبة فقط؛ والدليل على أنه يجوز إطلاق البيت والمراد منه كل الحرم قوله تعالى: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] والمراد الحرم كله لا الكعبة نفسها؛ لأنه لا يذبح في الكعبة، ولا في المسجد الحرام... فدل هذا على أنه وصف البيت بالأمن فاقتضى جميع الحرم، والسبب في أنه تعالى أطلق لفظ البيت وعنى به الحرم كله أن حرمة الحرم لما كانت معلقة بالبيت جاز أن يعبر عنه باسم البيت"[٢].

"والمثابة: مفعلة؛ من: ثاب القوم إلى الموضع، إذا رجعوا إليه، فهم يثوبون إليه مثاباً ومثابةً وثواباً، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: وإذ جعلنا البيت مرجعاً للناس ومعاذاً، يأتونه كل عام ويرجعون

(١) زاد المسير ١/١٤١.

(٢) تفسير الرازي ٢/٣٣٤.

إليه، فلا يقضون منه وطراً[1].

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "وإنما سماه الله ﴿مَثَابَةً﴾ لأنه كان في الجاهلية معاذاً لمن استعاذ به، وكان الرجل منهم لو لقي به قاتل أبيه أو أخيه، لم يهيجه ولم يعرض له حتى يخرج منه، وكان كما قال الله جل ثناؤه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧][2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾ تشريف لإسماعيل عليه السلام حيث عهد الله إليه كما عهد إلى والده إبراهيم عليه السلام؛ قال السمرقندي: "أي أمرنا إبراهيم وإسماعيل"[3]، وقال البغوي: "أي أمرناهما وأوحينا إليهما"[4].

وفي هذا تشريف وتكريم ظاهر لإسماعيل عليه السلام.

ولعل في عطف ﴿وَعَهِدْنَآ﴾ على ﴿جَعَلْنَا﴾ مع التصريح بذكر إسماعيل عليه السلام إشارة إلى "أن في ذريته من يختم الأمم بأمته ويكون استقباله بيته في أجل العبادات من شرعته"[5].

الآية الثانية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة/١٢٧].

تضمنت الآية الخبر عن استجابة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما

(١) تفسير ابن جرير الطبري٣/٢٥-٢٦.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٣/٢٩.
(٣) تفسير السمرقندي ١/١٥٧.
(٤) تفسير البغوي ٦٣.
(٥) نظم الدرر للبقاعي ٢/١٥٤.

السلام لما أمرهما الله تعالى به من بناء البيت، والتصريح باسم إسماعيل عليه السلام وعطفه على والده إبراهيم عليه السلام دليل على إنفرادهما بهذا الشرف، وأنه لم يشاركهما فيه أحد.

قال السمرقندي: "وفي الآية دليل على أن الإنسان إذا عمل خيراً ينبغي أن يدعو الله بالقبول، ويقال: ينبغي أن يكون خوف الإنسان على قبول العمل بعد الفراغ أشد من شغله بالعمل، لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]"[١].

الآية الثالثة: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة/١٣٣].

هذه أول آية في كتاب الله تعالى اجتمع فيها ذكر الأخوين إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، بعد أن سبقها ذكر إسماعيل عليه السلام مقترناً بذكر أبيه إبراهيم عليه السلام في بناء البيت وتطهيره، وفي ذلك رد على أهل الكتاب الذين فرقوا في الإيمان بهذين الأخوين فآمنوا بإسحاق وذريته، وكفروا بإسماعيل وذريته عليهم السلام.

قال ابن جرير الطبري: "تأويل الكلام: أكنتم -يا معشر اليهود والنصارى، المكذبين بمحمد ﷺ، الجاحدين نبوته- حضورَ يعقوبَ وشهودَه إذ حضره الموت، أي إنكم لم تحضروا ذلك، فلا تدعوا على أنبيائي ورسلي الأباطيل، وتَنحلوهم اليهوديةَ والنصرانية، فإني ابتعثت

---

(١) تفسير السمرقندي ١/١٥٨.

خليلي إبراهيم -وولده إسحاق وإسماعيل وذريتهم- بالحنيفية المسلمة، وبذلك وصَّوْا بنيهم، وبه عهدوا إلى أولادهم من بعدهم، فلو حضرتموهم فسمعتم منهم، علمتم أنهم على غير ما نحلتموهم من الأديان والملل من بعدهم"(١).

وقال أيضاً: "وإنما قدم ذكر إسماعيل على إسحاق، لأن إسماعيل كان أسن من إسحاق"(٢).

قال الرازي: "الآية دالة على أن شفقة الأنبياء عليهم السلام على أولادهم كانت في باب الدين وهمتهم مصروفة إليه دون غيره"(٣).

وهذا التفصيل لوصية يعقوب عليه السلام لأبنائه بأن يكونوا على ملة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السلام "تمهيد لإبطال قول أهل الكتاب: ﴿كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة/١٣٥] وإبطال لزعمهم أن يعقوب عليه السلام كان على اليهودية، وأنه أوصى بها بنيه فلزمت ذريته فلا يحولون عنها"(٤).

الآية الرابعة: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة/١٣٥، ١٣٦].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٣/٩٧-٩٨.

(٢) المرجع السابق ٣/٩٩.

(٣) تفسير الرازي ٢/٣٦٥.

(٤) تفسير ابن عاشور ١/٤١٩.

قال ابن جرير: "يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَـٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ ، وقالت اليهود لمحمد ﷺ وأصحابه من المؤمنين: كونوا هودا تهتدوا؛ وقالت النصارى لهم: كونوا نصارى تهتدوا... بل تعالوا نتبع ملة إبراهيم التي يجمع جميعنا على الشهادة لها بأنها دين الله الذي ارتضاه واجتباه وأمر به -فإن دينه كان الحنيفية المسلمة- وندع سائر الملل التي نختلف فيها، فينكرها بعضنا، ويقر بها بعضنا؛ فإن ذلك -على اختلافه- لا سبيل لنا على الاجتماع عليه، كما لنا السبيل إلى الاجتماع على ملة إبراهيم"[١].

وأما الأسباط الذين ذكروا في الآية، فهم اثنا عشر رَجلاً من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وَلَد كل رجل منهم أمّة من الناس، فسموا أسباطاً[٢].

قال البغوي في تفسير الأسباط: "يعني أولاد يعقوب عليهم السلام وهم اثنا عشر سبطاً واحدهم سبط؛ سموا بذلك لأنه ولد لكل واحد منهم جماعة، وسبط الرجل حافده، ومنه قيل للحسن والحسين رضي الله عنهما سبطا رسول الله ﷺ، والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب من بني إسماعيل، والشعوب من العجم، ولذلك قال: وما أنزل إليهم وقيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبياء"[٣].

الآية الخامسة: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا

(١) تفسير ابن جرير ٣/١٠١-١٠٢.

(٢) المرجع السابق ٣/١١١. وأصل السبط انبساط في سهولة، يقال شعر سبط، والسبط ولد الولد كأنه امتداد الفروع. المفردات في غريب القرآن ١/٢٩٣.

(٣) تفسير البغوي ٦٧-٦٨.

وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [البقرة/١٣٩، ١٤٠].

قال السمرقندي في تفسير قول الله تعالى: "﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ يعني إن تعلقتم أيضاً بدين الأنبياء فنحن على دينهم، وقد آمنا بجميع الأنبياء، فإن ادعيتم أن الأنبياء كانوا على دين اليهودية أو النصرانيّة، وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾فالله تعالى أخبر أنهم كانوا على دين الإسلام، وقد بيَّن ذلك في كتبهم حيث قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ لأن الله تعالى قد أخذ عليهم الميثاق بأن يبيِّنوه فكتموه"[1].

وقال ابن عاشور في تفسير الآية: "﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾أم منقطعة بمعنى: بل وهي إضراب للانتقال من غرض إلى غرض، وفيها تقدير استفهام؛ وهو استفهام للتوبيخ والإنكار، وذلك لمبلغهم من الجهل بتاريخ شرائعهم زعموا أن إبراهيم وأبناءه كانوا على اليهودية أو على النصرانية، كما دل عليه قوله تعالى : ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ ولدلالة آيات أخرى عليه مثل (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) ومثل قوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

(١) بحر العلوم للسمرقندي ١٦٣/١.

﴿٦٥﴾ والأمة إذا انغمست في الجهالة، وصارت عقائدها غرورا ومن دون تدبر اعتقدت ما لا ينتظم مع الدليل، واجتمعت في عقائدها المتناقضات[1].

* * *

(١) التحرير والتنوير ١/٤٢٨.

المبحث الثاني: سورة آل عمران

ورد في سورة آل عمران ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام مرة واحدة مقترناً بذكر أبيهما إبراهيم عليه السلام في سياق آيات مناظرة النصارى(1).

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [آل عمران/٨٤]

هذا أمر من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقول لأهل الكتاب؛ الذين خالفوا ما أمروا به من الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام اتباعاً لما أخذه الله تعالى على جميع الأنبياء السابقين بوجوب الإيمان والتصديق بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه الذي سبق ذكره قبل هذه الآية بآيتين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ

(1) عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (جاء السَّيِّد والعاقب - صاحبا نَجْران - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان أن يَلاعِنَاه. فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، والله لئن كان نَبيّا فلاعَنَا لا نُفْلِح أبدا نَحْنُ ولا عَقِبُنَا مِنْ بعدنا، قالا: إنَّا نُعطيك ما سألتنا. وابعث معنا رجلاً أميناً، ولا تَبْعَثْ مَعَنَا إلا أميناً. فقال: لأَبْعَثَنَّ معكما رجلاً أميناً حَقَّ أمين، حق أمين، حَقَّ أمين. فاستشرف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجَرَّاح، فلما قام قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: هذا أمين هذه الأمة). أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٥٩٢، ح ٤١١٩

(العاقب) صاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح (السيد) رئيسهم واسمه الأيهم (صاحبا نجران) من أكابر النصارى فيها (يلاعناه) يباهلاه بأن يدعو كل فريق بالعذاب على المبطل (ما سألتنا) الذي طلبته منا من الجزية.

وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

أمر الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ أن يقول لهم بأنه يؤمن بالله، ويؤمن بجميع من أرسلهم الله ﷻ من الأنبياء والمرسلين، ويؤمن بكل ما أنزل عليهم وأنه لا يفرق في هذا الإيمان بين أحد منهم.

قال ابن جرير الطبري: "وقوله: ﴿ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ يعني به: قل لهم يا محمد: صدقنا بالله أنه ربنا وإلهنا، لا إله غيره، ولا نعبد أحدًا سواه ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ﴾ يقول: وقل: وصدَّقنا أيضًا بما أَنزل علينا من وَحيه وتنزيله، فأقررنا به ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ يقول: وصدقنا أيضًا بما أَنزل على إبراهيم خليل الله، وعلى ابنيه إسماعيل وإسحاق، وابن ابنه يعقوب وبما أَنزل على ﴿ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ وهم ولد يعقوب الاثنا عشر... ﴿ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ يقول: وصدّقنا أيضًا مع ذلك بالذي أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوَحْي، وبما أنزل على النبيين من عنده.

والذي آتى الله موسى وعيسى مما أمرَ الله ﷻ محمدًا ﷺ بتصديقهما فيه، والإيمان به التوراة التي آتاها موسى، والإنجيل الذي أتاه عيسى.

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ يقول: لا نصدّق بعضهم ونكذّب بعضَهم، ولا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم، كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله وصدّقت بعضًا، ولكنا نؤمن بجميعهم، ونصدّقهم ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ يعني: ونحن ندين لله بالإسلام لا ندين غيره، بل نتبرأ إليه من كل دين سواه، ومن كل ملة غيره.

ويعني بقوله: ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ونحن له منقادون بالطاعة، متذللون بالعبودية، مقرّون لهُ بالإلوهية والربوبية، وأنه لا إله غيره"[1].

(١) تفسير ابن جرير ٦/٥٧٠.

وتقديم إسماعيل عليه السلام على أخيه إسحاق عليه السلام يدل على أنه أكبر منه؛ قال ابن عطية: "وقدم إسماعيل لسنه"[1].

وورد نظير هذه الآية في سورة البقرة أمراً للمؤمنين أن يقولوا ذلك مع الاختلاف في حرف الجر؛ ففي سورة البقرة حرف الجر (إلى) وفي سورة آل عمران حرف الجر (على)؛ قال الرازي مبيناً وجه الفرق بين الآيتين: "فإن قيل: لم عدَّى ﴿أُنزِلَ﴾ في هذه الآية بحرف الاستعلاء، وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء؟ قلنا: لوجود المعنيين جميعاً، لأن الوحي يتزل من فوق وينتهي إلى الرسل، فجاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر، وقيل أيضاً إنما قيل: ﴿عَلَيْنَا﴾ في حق الرسول؛ لأن الوحي يتزل عليه، وإلينا في حق الأمة؛ لأن الوحي يأتيهم من الرسول على وجه الانتهاء؛ وهذا تعسف، ألا ترى إلى قوله: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [البقرة ٤] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء ١٠٥] وإلى قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾[2] [آل عمران ٧٢]".

وما قاله الرازي متوجه وحسن وأيده ابن عطية حيث قال: "الإنزال على نَبيّ الأمة إنزال عليها، وهذا ليس بطائل بالنسبة إلى طلب الفرق[3].

* * *

(١) تفسير ابن عطية ١/٤٥٦.

(٢) تفسير الرازي ٤/٢٨٥.

(٣) تفسير ابن عطية ١/٤٥٦.

المبحث الثالث: سورة النساء

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في سورة النساء مرة واحدة، مقترناً بذكر أبيهما إبراهيم عليه السلام، في سياق الحديث عن الوحي المنزل على نبينا محمد ﷺ، ومشابهته للوحي المنزل على من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإلزام أهل الكتاب بالإيمان به ﷺ؛ قال تعالى:

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء ١٦٣]

هذا الخبر المؤكد بإن المتضمن أن الوحي المنزل على نبينا محمد ﷺ مثل الوحي المنزل على غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جاء جواباً عن سؤال اليهود نبينا ﷺ "أن ينزل عليهم كتاباً من السماء، وذكر تعالى بعده أنهم لا يطلبون ذلك لأجل الاسترشاد، ولكن لأجل العناد واللجاج، وحكى أنواعاً كثيرة من فضائحهم وقبائحهم، وامتد الكلام إلى هذا المقام، شرع الآن في الجواب عن تلك الشبهة فقال: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾"[1].

قال ابن كثير: "وهي رد عليهم لما سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، قال الله تعالى: ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾[النساء ١٥٣] ثم ذكر فضائحهم ومعايبهم وما كانوا عليه، وما هم عليه الآن من الكذب والافتراء، ثم ذكر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله محمد ﷺ كما

(١) تفسير الرازي ٥/٤٤١.

أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدمين فقال: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾[1].

وقال الشوكاني في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ ﴾ "هذا متصل بقولــه: ﴿ يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ والمعنى: أن أمر محمد ﷺ كأمر من تقدمه من الأنبياء فما بالكم تطلبــون منه ما لم يطلبه أحد من المعاصرين للرسل"[2].

من فوائد الآية:

١- إثبات نبوة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، وأن الوحي المترل عليهما مثل الوحي المترل على أبيهما إبراهيم عليه السلام، وعلى غــيره مــن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٢- أن إسماعيل عليه السلام هو الابن الأكبر لإبراهيم عليه السلام، وأنه أكبر من أخيه إسحاق عليه السلام بدليل تقديمه في الذكر بعد أبيه عليه السلام مباشرة.

٣- قال البغوي: "بدأ بذكر نوح عليه السلام لأنه كان أبا البشر مثل آدم عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ [الصافات ٧٧] ولأنه أول نبي من أنبياء الشريعة، وأول نذير على الشرك، وأول من عــذبت أمتــه لردِّهم دعوته، وأُهلك أهل الأرض بدعائه وكان أطول الأنبياء عمرا"[3].

* * *

(١) تفسير ابن كثير ٤١٧/٢.
(٢) تفسير الشوكاني ٨١١/١.
(٣) تفسير البغوي ٣٥٠.

المبحث الرابع: سورة الأنعام

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في سورة الأنعام مرة واحدة في سياق الحديث عن أبيهما إبراهيم ﷺ، وما خصه الله ﷻ به من جعل النبوة والكتاب في ذريته، بعد ذكر مناظرته الشهيرة لأبيه وقومه بضرب المثل بالكوكب والقمر والشمس في قوله تعالى:

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام ٨٣-٨٦]

فوائد من الآيات:

١- تعظيم هبة الله لإسحاق ويعقوب عليهما السلام بنون الجمع، والثناء عليهما بالهداية ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ "والوهب والهبة: إعطاء شيء بلا عوض"[1].

وقد جاءت المنة على إبراهيم ﷺ بهبة إسحاق ويعقوب له بصيغة الجمع أربع مرات في كتاب الله ﷻ؛ هذا **أولها** من حيث ترتيب المصحف:

والثاني: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ ﴾ [مريم

(١) تفسير ابن عاشور ١/١٣٤٤.

٤٩، ٥٠].

والثالث: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأنبياء/٧١، ٧٢].

والرابع: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت/٢٦، ٢٧].

وجميع هذه السور مكية؛ وهذا التقديم والاختصاص بالذكر لإسحاق ويعقوب عليهما السلام في السور المكية فيه تسلية لنبينا ﷺ بأن الله سيحفظه وينصره كما حفظ أباه إبراهيم عليه السلام من قبل، وبأن الله سيمكن له وينشر دينه وإن عاداه قومه كما مكن لإبراهيم عليه السلام وذريته من قبل.

وفي الجمع بين إسحاق ويعقوب عليهما السلام في هذه المواضع الأربعة ما يدل على أن البشارة بهما كانت في مقام واحد كما جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى خطاباً لسارة زوج إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١].

قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: فجزينا إبراهيم ﷺ على طاعته إيانا، وإخلاصه توحيد ربه، ومفارقته دين قومه المشركين بالله، بأن رفعنا درجته في عليين، وآتيناه أجره في الدنيا، ووهبنا لـه أولادًا خصصناهم بالنبوّة، وذرية شرفناهم منا بالكرامة، وفضلناهم على العالمين، منهم: ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ يقول: هدينا جميعهم لسبيل

الرشاد، فوفقناهم للحق والصواب من الأديان"[١].

١- عطف الهبة بالواو يشهد لتأخر البشارة بإسحاق ويعقوب عليهما السلام، وأنها لم تكن بعد مفارقة إبراهيم عليه السلام لقومه مباشرة، وأن الهبة لم تكن بعد دعاءٍ من إبراهيم عليه السلام مما يقوي أن الغلام الحليم المبشَّر به في سورة الصافات المصدَّر بحرف العطف الفاء جاء بعد دعاء إبراهيم مباشرة، فيكون الغلام الحليم إسماعيل، وليس إسحاق عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات ٩٩-١٠٢] والله أعلم.

* ما الحكمة من تقديم ذكر إسحاق على إسماعيل عليهما السلام في سورة الأنعام؟

سورة الأنعام سورة مكية، وفيها إقامة الحجة على مشركي مكة في إبطال الشرك، والاستدلال عليهم بإبراهيم عليه السلام ومحاجته لأبيه وقومه، وأن الله سبحانه وتعالى حفظه وأكرمه، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، ووهب له إسحاق ويعقوب، قال الرازي: "فإن قالوا: لِمَ لَمْ يُذكر إسماعيل مع إسحاق عليهما السلام، بل أخر ذكره عنه بدرجات؟ قلنا: لأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسحاق ويعقوب، وأما إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا

(١) تفسير ابن جرير ١١/٥٠٧.

يجوز ذكر محمد ﷺ في هذا المقام؛ لأنه تعالى أمر محمداً ﷺ أن يحتج على العرب في نفي الشرك بالله بأن إبراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدين والدنيا، ومن النعم العظيمة في الدنيا أن آتاه الله أولاداً كانوا أنبياء وملوكاً، فإذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد ﷺامتنع أن يذكر نفسه في هذا المعرض، فلهذا السبب لم يذكر إسماعيل مع **إسحاق**"[1]. والله أعلم.

وهذا وجه ظاهر قوي، ويعني بذلك: أن إسماعيل وإسحاق عليهما السلام لم يذكرا مقترنين، وإلا فإن إسماعيل عليه السلام ذكر بعد ذكر إسحاق عليه السلام بآية واحدة.

قال البقاعي في ذكر حكمة الابتداء بإسحاق ويعقوب عليهما السلام: "وابتدأ سبحانه بهما؛ لأن السياق للامتنان على الخليل عليه السلام، وهو أشد سروراً بابنه الذي مُتِّع به و لم يؤمر بفراقه، وابن ابنه الذي أكثر الأنبياء الداعين إلى الله من نسله، ومن خواصه، وهو الموجب الأعظم للبداءة أن أبناءه طهروا الأرض المقدسة التي هي مهاجر إبراهيم عليه السلام ومختاره للسكنى بنفسه ونسله"[2].

* حكمة ترتيب ذكر الأنبياء في هذه الآيات

ذكر الله ﷻ في هذه الآيات أربعة من الأنبياء، وهم: نوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، ثم ذكر من ذريتهم أربعة عشر نبياً: داود، وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى، وإلياس، وإسماعيل، واليسع، ويونس، ولوطاً، والمجموع ثمانية عشر.

(١) تفسير الرازي ٦/٣٥٩.

(٢) تفسير البقاعي ٧/١٧٠.

قال الرازي: "فإن قيل: رعاية الترتيب واجبة، والترتيب إما أن يعتبر بحسب الفضل والدرجة، وإما أن يعتبر بحسب الزمان والمدة، والترتيب بحسب هذين النوعين غير معتبر في هذه الآية فما السبب فيه؟

قلنا: الحق أن حرف الواو لا يوجب الترتيب، وأحد الدلائل على صحة هذا المطلوب هذه الآية؛ فإن حرف الواو حاصل ههنا مع أنه لا يفيد الترتيب ألبتة، لا بحسب الشرف ولا بحسب الزمان، وأقول: عندي فيه وجه من وجوه الترتيب، وذلك لأنه ﷻ خص كل طائفة من طوائف الأنبياء بنوع من الإكرام والفضل.

فمن المراتب المعتبرة عند جمهور الخلق: الملك والسلطان والقدرة، والله ﷻ قد أعطى داود وسليمان من هذا الباب نصيباً عظيماً.

والمرتبة الثانية: البلاء الشديد والمحنة العظيمة، وقد خص الله أيوب بهذه المرتبة والخاصية.

والمرتبة الثالثة: من كان مستجمعاً لهاتين الحالتين، وهو يوسف عليه السلام، فإنه نال البلاء الشديد الكثير في أول الأمر، ثم وصل إلى الملك في آخر الأمر.

والمرتبة الرابعة: من فضائل الأنبياء عليهم السلام وخواصهم قوة المعجزات، وكثرة البراهين، والمهابة العظيمة، والصولة الشديدة، وتخصيص الله تعالى إياهم بالتقريب العظيم والتكريم التام، وذلك كان في حق موسى وهارون.

والمرتبة الخامسة: الزهد الشديد والإعراض عن الدنيا، وترك مخالطة الخلق، وذلك كما في حق زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، ولهذا السبب وصفهم الله بأنهم من الصالحين.

والمرتبة السادسة: الأنبياء الذين لم يبق لهم فيما بين الخلق أتباع وأشياع، وهم إسماعيل، واليسع، ويونس، ولوط، فإذا اعتبرنا هذا الوجه الذي راعيناه ظهر أن الترتيب حاصل في ذكر هؤلاء الأنبياء عليهم السلام بحسب هذا الوجه الذي شرحناه"[1].

وبهذا الوجه الذي ذكره الرازي رحمه الله يتبين لنا حكمة الجمع بين هؤلاء الأنبياء الأربعة: إسماعيل واليسع ويونس ولوطاً. والله أعلم.

ومن حكمة الفصل في هذه الآيات بين إسماعيل وأبيه، ويوسف وأبيه عليهم السلام ما ذكره البقاعي حيث قال: "فُصل بين إسماعيل وأبيه، ويوسف وأبيه عليهم السلام إشارة إلى فراق كل منهما لأبيه في الحياة، وأنه ما حفظ كلاًّ منهما على سنن الهدى طول المدى إلاّ الله"[2].

وقد ذكر البقاعي أيضاً وجها غريباً في حكمة تأخير ذكر إسماعيل عليه السلام فقال: "ومن لطائف ترتيبهم هكذا أيضاً أن إسماعيل عليه السلام يوازي نوحاً عليه السلام، فإنه رابع في العدّ لهذا العِقْد إذا عددته من آخره، كما أن نوحاً عليه السلام رابعه إذا عددته من أوله، والمناسبة بينهما أن نوحاً عليه السلام نشر الله منه الآدميين حتى كان منهم إبراهيم عليه السلام الذي جعله الله أباً للأنبياء والمرسلين، وإسماعيل عليه السلام نشر الله منه العرب الذين هم خلاصة الخلق حتى كان منهم محمد ﷺ الذي جعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين، فهذا كان بداية وهذا كان نهاية"[3].

---

(١) تفسير الرازي ٣٦٠/٦.

(٢) نظم الدرر ١٧٢/٧.

(٣) نظم الدرر ١٧٧/٧-١٧٨.

* ما الحكمة من ذكر هداية الله لنوح عليه السلام بعد ذكر هبة إسحاق ويعقوب؟.

قال الرازي مبيناً حكمة ذلك: "وأما قوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ فالمراد أنه سبحانه وتعالى جعل إبراهيم عليه السلام في أشرف الأنساب، وذلك لأنه رزقه أولاداً مثل إسحاق، ويعقوب، وجعل أنبياء بني إسرائيل من نسلهما، وأخرجه من أصلاب آباء طاهرين مثل نوح، وإدريس، وشيث، فالمقصود بيان كرامة إبراهيم عليه السلام بحسب الأولاد، وبحسب الآباء"[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبله، هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذرية صالحة، وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح عليه السلام، فإن الله سبحانه وتعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به -وهم الذين صحبوه في السفينة- جعل الله ذريته هم الباقين، فالناس كلهم من ذرية نوح، وكذلك الخليل إبراهيم عليه السلام، لم يبعث الله عز وجل بعده نبيا إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ .. الآية [العنكبوت: ٢٧] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[الحديد: ٢٦] وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]"[2].

* * *

(١) المرجع السابق ٣٥٩/٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٢٦٦/٣-٢٦٧.

المبحث الخامس: سورة إبراهيم عليه السلام

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في سورة إبراهيم عليه السلام مرة واحدة، في سياق الآيات المتحدثة عن بناء إبراهيم عليه السلام البيت، ودعائه بأن يجعل الله تعالى البيت آمناً، وأن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، ثم الحمد والثناء على الله عز وجل الذي وهب له على الكبر إسماعيل وإسحاق، قال الله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥ - ٤١]

فوائد من الآيات:

١- هذه الآيات من سورة إبراهيم عليه السلام تحدثت عن آخر حياة إبراهيم عليه السلام، بعد فراغه من بناء البيت، وإقرار الله عز وجل عينه برؤية أبنائه وذريته، ودعائه لهم بأن يكونوا ممن يقيم الصلاة ويسلم من الشرك.

٢- تقديم إسماعيل على إسحاق عليهما السلام يدل على أنه الأكبر.

٣- قال السمرقندي في قوله تعالى "﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾ يعني: بعد الكبر"[١].

قال الرازي: "وإنما ذكر قوله: ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾ لأن المنة بهبة الولد في هذا السن أعظم، من حيث إن هذا الزمان زمان وقوع اليأس من الولادة؛ والظفر بالحاجة في وقت اليأس من أعظم النعم، ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم عليه السلام"[٢].

وفي ختم إبراهيم عليه السلام حمده لربه بالثناء على الله عز وجل بإجابته الدعاء ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ "إشعارٌ بأنه تقدم منه سؤال الولد، فسمع منه، وأجابه حين وقع اليأس منه، ليكون من أجلِّ النعم وأجلاها[٣]، وهذا حق فإن إبراهيم عليه السلام دعا بذلك فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات ١٠٠، ١٠١] فبشر بإسماعيل أولاً ثم بإسحاق بعد ذلك، وبينهما مدة من الزمن لا تعلم على سبيل الجزم والقطع؛ قال أبو حيان:

"والظاهر أنْ هذه الجمل التي تكلم بها إبراهيم ﷺ لم تقع منه في زمان واحد، وإنما حكى الله عنه ما وقع في أزمان مختلفة، يدل على ذلك: أن إسحاق لم يكن موجوداً حالة دعائه، إذ ترك هاجر والطفل بمكة؛ فالظاهر أنّ حمده الله تعالى على هبة ولديه له كان بعد وجود إسحاق، و ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ ﴾ يدل على مطلق الكبر"[٤].

---

(١) تفسير السمرقندي ٢/٢٠٩.

(٢) تفسير الرازي ٩/٢٦٢.

(٣) البحر المديد ٣/٢٠٩.

(٤) تفسير البحر المحيط ٧/١٧٠. وكل ما ذكره المفسرون من تعيين المدة الزمنية بين إسماعيل =

قال الخازن في تفسيره: "فإن قلت: كيف جمع بين إسماعيل وإسحاق في الدعاء في وقت واحد، وإنما بشر بإسحاق بعد إسماعيل بزمان طويل؟ قلت: يحتمل أن إبراهيم عليه السلام إنما أتى بهذا الدعاء عندما بشر بإسحاق، وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين عند كبره قال عند ذلك: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾"[1].

* * *

=

وإسحاق عليهما السلام مأخوذ من الروايات الإسرائيلية ولا يعول عليها في هذا الباب.

(١) تفسير الخازن ٤/١٢٤.

المبحث السادس: سورة مريم عليها السلام

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في سورة مريم عليها السلام مرة واحدة، في سياق الآيات المتحدثة عن نبوة إبراهيم عليه السلام، والثناء عليه بوصف الصدق ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ ﴾ [مريم ٤١] ثم مناداته الحانية لأبيه محاولة لإسلامه، ثم تهديد أبيه له بالرجم والإبعاد، ثم حسن توديع إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ [مريم ٤٢-٤٨].

بعد هذا العناء يأتي الفرح والابتهاج؛ فيهب الله عز وجل لخليله إبراهيم عليه السلام الذرية الطيبة ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ [مريم ٤٩

- ٥٨]

فوائد من الآيات:

١- عظم المنة بهبة إسحاق ويعقوب عليهم السلام حيث جاء بصيغة التعظيم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ والجمع بينهما لأن البشارة بهما جاءت في مقام واحد، قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود٧١].

٢- اقتصر في ذكر إسحاق ويعقوب عليهما السلام على صفة النبوة فقط؛ قال ابن جرير: "يقول تعالى ذكره: فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم، وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم، فوهبنا له ابنه إسحاق، وابن ابنه يعقوب بن إسحاق ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ فوحد، و لم يقل أنبياء، لتوحيد لفظ كلّ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ يقول جلّ ثناؤه: ورزقنا جميعهم، يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا، وكان الذي وهب لهم من رحمته، ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه، وأغناهم بفضله"(١).

٣- والجمع في ذكر إسماعيل عليه السلام بين صفة النبوة والرسالة تأكيد لاتصافه بهذا الشرف، ورد على من أنكر نبوته ورسالته "فالجمع بينهما هنا لتأكيد الوصف إشارة إلى أن رسالته بلغت مبلغاً قوياً فقوله (نبياً) تأكيد لوصف (رسولاً)"(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ في هذا دلالة على

---

(١) تفسير ابن جرير ١٨/٢٠٨.

(٢) تفسير ابن عاشور ١٦/٥٢.

شرف إسماعيل على أخيه إسحاق؛ لأنه إنما وصف بالنبوة فقط، وإسماعيل وصف بالنبوة والرسالة"[(١)].

٤- الثناء على إسماعيل عليه السلام بوصفه بصدق الوعد؛ يشهد لكونه الذبيح؛ قال الشنقيطي رحمه الله: "أمر الله ﷻ نبيه ﷺ في هذه الآية الكريمة أن يذكر في الكتاب وهو هذا القرآن العظيم جده إسماعيل، وأثنى عليه أعني إسماعيل بأنه كان صادق الوعد، وكان رسولاً نبياً، ومما يبين من القرآن شدة صدقه في وعده: أنه وعد أباه بصبره له على ذبحه، ثم وفى بهذا الوعد، ومن وفى بوعده في تسليم نفسه للذبح فإن ذلك من أعظم الأدلة على عظيم صدقه في وعده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات ١٠٢/٣٧] فهذا وعده، وقد بين تعالى وفاءه به في قوله: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ الآية [١٠٣/٣٧]"[(٢)].

٥- الثناء على إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام بالذكر الحسن ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ "ورزقناهم الثناء الحسن، والذكر الجميل من الناس... وإنما وصف جل ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلوّ، لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم، والعرب تقول: قد جاءني لسان فلان، تعني ثناءه أو ذمه"[(٣)].

٦- فائدة في حكمة تقديم ذكر إسحاق ويعقوب على إسماعيل

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٣٩/٥.

(٢) تفسير الشنقيطي ٤٣٧/٣، وقد نص على أن مدح إسماعيل عليه السلام بصدق الوعد لصدقه في قصة الذبيح كثير من المفسرين كما سيأتي في سورة الصافات إن شاء الله تعالى.

(٣) المرجع السابق.

عليهم السلام؛ قال ابن عاشور رحمه الله: "وإنما اقتصر على ذكر إسحاق ويعقوب دون ذكر إسماعيل فلم يقل: وهبنا له إسماعيل وإسحاق ويعقوب، لأن إبراهيم لما اعتزل قومه خرج بزوجه سارة قريبته، فهي قد اعتزلت قومها أيضا إرضاء لربها ولزوجها، فذكر الله الموهبة الشاملة لإبراهيم ولزوجه، وهي أن وهب لهما إسحاق وبعده يعقوب، ولأن هذه الموهبة لما كانت كِفاءً لإبراهيم على مفارقته أباه وقومه كانت موهبة من يعاشر إبراهيم ويؤنسه وهما إسحاق ويعقوب، أما إسماعيل فقد أراد الله أن يكون بعيداً عن إبراهيم في مكة ليكون جار بيت الله، وإنه لجوار أعظم من جوار إسحاق ويعقوب أباهما"(١). وهذا استنباط دقيق قوي. والله أعلم.

٧- ذكر إسماعيل عليه السلام مستقلاً عن ذكر أبيه وأخيه عليهما السلام "لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلاً"(٢).

٨- الثناء الجميل المستقل على إسماعيل عليه السلام يدل على عظم شأنه ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾قال ابن عاشور: "خص إسماعيل بالذكر هنا تنبيها على جدارته بالاستقلال بالذكر عقب ذكر إبراهيم وابنه إسحاق؛ لأن إسماعيل صار جد أمة مستقلة قبل أن يصير يعقوب جد أمة، ولأن إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم وشريكه في بناء الكعبة... وخصه بوصف صدق الوعد لأنه اشتهر به وتركه خلقاً في ذريته، وأعظم وعد صدقه وعده إياه إبراهيم بأن يجده صابرا على الذبح

---

(١) تفسير ابن عاشور ٥٢/١٦.

(٢) تفسير الألوسي ١٣/١٢.

فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[الصافات ١٠٢] وجعله الله نبياً ورسولاً إلى قومه، وهم يومئذ لا يعدون أهله أمه وبنيه وأصهاره من جُرهم، فلذلك قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ ثم إن أمة العرب نشأت من ذريته فهم أهله أيضا، وقد كان من شريعته الصلاة والزكاة وشؤون ملة أبيه إبراهيم.

ورضى الله عنه: إنعامه عليه نعماً كثيرة، إذ باركه وأنمى نسله وجعل أشرف الأنبياء من ذريته، وجعل الشريعة العظمى على لسان رسول من ذريته[1].

قال الرازي رحمه الله: "قوله تعالى ﴿وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾ وهو في نهاية المدح لأن المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات"[2].

٩- وهنا سؤال تجدر الإجابة عنه؛ وهو: ما الحكمة من ذكر موسى وأخيه هارون عليهما السلام بعد ذكر إسحاق ويعقوب وقبل ذكر إسماعيل عليهم السلام؟ لعل الجواب -والله تعالى أعلم- ما ذكره ابن عاشور رحمه الله: "أفضت مناسبة ذكر إبراهيم ويعقوب إلى أن يذكر موسى في هذا الموضع لأنه أشرف نبي من ذرية إسحاق ويعقوب"[3].

* * *

(١) تفسير ابن عاشور ٥٥/١٦.

(٢) تفسير الرازي ٣٢١/١٠.

(٣) المرجع السابق ٥٠/١٦.

المبحث السابع: سورة الأنبياء

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في سورة الأنبياء عليهم السلام مرة واحدة في آيتين منفصلتين.

* أولاً: ذكر إسحاق عليه السلام:

الآية: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (٧٠) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧١) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) ﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٢]

الآيات في سياق الحديث عن إبراهيم عليه السلام ودعوته لأبيه وقومه، وشدة عنادهم واستكبارهم، وسعيهم لحرقه، وإنجاء الله تعالى له، وإكرامه بأن وهب له ذرية طيبة يأتي التبشير بإسحاق ويعقوب مقترناً بذكر نجاة نبي الله لوط عليه السلام.

فوائد من الآيات:

١- الهبة بإسحاق ويعقوب جاءت بحرف العطف الواو، مما يدل على تأخرها وأنها لم تأت بعد هجرته مباشرة، بل بعد مجيء الملائكة بهلاك قوم لوط عليه السلام.

٢- ذكر هبة إسحاق ويعقوب بعد نجاة إبراهيم ولوط عليهم السلام يدل على تأخر الهبة فبين هجرة إبراهيم قومه وهلاك قوم لوط مدة طويلة من الزمن كما يظهر صريحاً في سورة هود[1]، بخلاف التبشير

(١) سيأتي الحديث عن آيات سورة هود في المبحث الأول من الفصل الثاني بإذن الله.

بالغلام الحليم في سورة الصافات فإنه وقع بعد هجرة إبراهيم مباشرة؛ ولذا جاء التبشير به بحرف العطف الفاء دون ذكر للوط ﷺ، ولا ذكر لزوج إبراهيم سارة عليهم السلام، قال تعالى: ﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات/٩٨-١٠١].

٣- معنى نافلة: زيادة، وعلى أي شيء كانت الزيادة؟ كانت على البشارة بإسماعيل ﷺ المذكورة في سورة الصافات كما سبق في الفائدة الثانية.

٤- ذكر ابن جرير رحمه الله تعالى اختلاف المفسرين في المعني بوصف نافلة هل هو إسحاق ويعقوب كما هو ظاهر الآية، أو أن المعني به يعقوب فقط فيكون المعنى أن يعقوب زيادة في الهبة ثم رجح أن وصف النافلة يعود على إسحاق ويعقوب معاً فقال: "وقد بيَّنا فيما مضى قبل، أن النافلة الفضل من الشيء يصير إلى الرجل من أيّ شيء كان ذلك، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلاً من الله تفضل به على إبراهيم، وهبةً منه له، وجائز أن يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعاً نافلة منه له، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب، ولا برهان يدلّ على أيّ ذلك المراد من الكلام، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب نافلة"(١).

٥- الثناء الحسن على إبراهيم وإسحاق ويعقوب مجتمعين بالصلاح وجعلهم أئمة يهتدى بهم ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴾ "يعني عاملين بطاعة الله، مجتنبين محارمه، وعنى بقوله: (كُلا) إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب،

(١) تفسير ابن جرير ١٨/٤٧٢.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم، ويُتَّبعون عليه، وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك ﴿وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا"[١].

٦- الثناء السابق على إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام مجتمعين بالصلاح، وجعلهم أئمة يهتدى بهم يدل على اجتماعهم وعدم تفرقهم، وأنهم كانوا في مكان واحد، بخلاف إسماعيل عليه السلام فإنه انفرد عن أبيه وجاور البيت الحرام فجاء ذكره بعد ذلك بآيات ذكراً خاصاً.

*** ثانياً: ذكر إسماعيل عليه السلام:**

﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ (٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)﴾ [الأنبياء: ٨٣ - ٨٦].

فوائد من الآيات:

١- جاء ذكر إسماعيل عليه السلام مستقلاً عن ذكر أبيه وأخيه إسحاق بعد ذكر أيوب عليه السلام مقترناً بذكر إدريس وذا الكفل مع الوصف بالصبر والصلاح للجميع؛ قال ابن جرير: "ونصب إسماعيل وإدريس وذا الكفل،

(١) تفسير ابن جرير ١٨/٤٧٢.

عطفا على أيوب، ثم استؤنف بقوله: (كُلّ) فقال: ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ومعنى الكلام: كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله"[1].

٢- الوصف بالصبر والاقتران بأيوب وإدريس وذا الكفل يدل على حدث عظيم بارز في حياة إسماعيل ﷺ، والحدث المذكور في القرآن الكريم المناسب لهذا الوصف قصة الذبح.

٣- عطف اليسع وذي الكفل على إسماعيل عليهم السلام والثناء عليهم بالصبر يدل على أنهم من الأنبياء، و لم يبين لنا في كتاب الله تعالى سبب الثناء عليهم بالصبر لكن اقترانهم بإسماعيل ﷺ يدل على أنه شيء عظيم في حياتهم.

* ذا الكفل واليسع:

ورد في كتاب الله ذكر اليسع وذي الكفل مرتين دون تفصيل يتعلق بهما، ورد ذكر ذي الكفل في كتاب الله تعالى مرتين مقترناً بإسماعيل ﷺ؛ الأول في سورة الأنبياء: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

والثاني في سورة ص: ﴿ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾.

والموضع الثاني لذكر اليسع في سورة الأنعام: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾.

فهذه ثلاث آيات تضمنت ذكر اليسع وذي الكفل مرتين، وما وقفت عليه في كتب التفسير فيما يتعلق بهذين النبيين الكريمين ذي الكفل واليسع مأخوذ عن أهل الكتاب وهو مما لا يصدق ولا يكذب، وقد

---

(١) تفسير ابن جرير ٥١١/١٨.

أعرضت عن ذكره إذ لا فائدة فيه، فيبقى أهما من الأنبياء بدليل اقتـــران ذكرهما بذكر الأنبياء عليهم السلام، وبأهما من أهل الصبر مما يدل على حدث ظاهر في حياهما، الله تعالى أعلم به.

قال ابن كثير: "وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق أنه ما قرن مـــع الأنبياء إلا وهو نبي، وقال آخرون: إنما كان رجلا صالحًا، وكان ملكًـــا عادلاً وحكمًا مقسطًا، وتوقف ابن جرير في ذلك، فالله أعلم"[1].

"وأما عطف ذي الكفل على إسماعيل فلأنه مماثل لإسماعيل في صفة الصبر قال الله ﷻ في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ "[2].

قال ابن جرير: "والكِفْل في كلام العرب: الحظّ والجَدّ"[3].

﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ﴾ أي النصيب العظيم بالوفاء بما يكفله من كل أمـــر عليّ، وعمل صالح زكي[4].

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٦٣/٥.

(٢) تفسير ابن عاشور ٣٦٣٨/١.

(٣) تفسير الطبري ٢٢٠/٢.

(٤) نظم الدرر ٣٩٩/١٦.

المبحث الثامن: سورة ص

ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في سورة ص مرة واحدة، قال الله تعالى:

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ [ص٤٥-٤٩]

١- اقترن ذكر إسحاق عليه السلام بذكر أبيه إبراهيم عليه السلام كما هو في القرآن الكريم كله؛ يأتي ذكر إسحاق عليه السلام بعد ذكر أبيه عليه السلام؛ قال ابن عاشور: "وذكر هؤلاء الثلاثة ذكر اقتداء وائتساء بهم؛ فأما إبراهيم عليه السلام فيما عرف من صبره على أذى قومه، وإلقائه في النار، وابتلائه بتكليف ذبح ابنه، وأما ذكر إسحاق ويعقوب فاستطراد بمناسبة ذكر إبراهيم، ولما اشتركا به من الفضائل مع أبيهم التي يجمعها اشتراكهم في معنى قوله: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ ليقتدي النبي ﷺ بثلاثتهم في القوة في إقامة الدين، والبصيرة في حقائق الأمور"[١].

٢- الثناء على إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام بالقوة في الدين والبصيرة في حقائق الأمور؛ ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ يعني: "أولي القوة في العبادة، والأبصار، يعني: ذوي البصر في أمر الله تعالى[٢]".

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي﴾ يقول: أولي

(١) تفسير ابن عاشور ٣٦٣٦/١.

(٢) تفسير السمرقندي ١٣٨/٣.

القوة ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ يقول: الفقه في الدين، وقال مجاهد: : ﴿أُوْلِى ٱلْأَيْدِى﴾ يعني: القوة في طاعة الله ﴿وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ يعني: البصر في الحق، وقال قتادة والسدي: أعطُوا قوة في العبادة وبَصرًا في الدين[1].

وقال ابن عاشور: "والأيدي: جمع يد؛ بمعنى القوة في الدين، كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ في سورة الذاريات.

والأبصار: جمع بصر بالمعنى المجازي وهو النظر الفكري المعروف بالبصيرة، أي: التبصر في مراعاة أحكام الله ﷻ وتوخي مرضاته"[2].

وفي هذا الثناء دعوة للتفكر والتبصر في آيات الله ﷻ الشرعية والكونية وتعريض بالغافل عنها؛ قال الزمخشري: "وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله، وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منهما"[3].

٣- الثناء عليهم بالذكر الحسن في الدنيا "فجملة ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم﴾ علة للأمر بذكرهم؛ لأن ذكرهم يكسب الذاكر الاقتداء بهم في إخلاصهم، ورجاء الفوز بما فازوا به من الاصطفاء والأفضلية في الخير"[4].

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ قال: بذكر الآخرة فليس لهم همّ غيرها[5].

قال السمرقندي: "قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾﴾

(١) تفسير ابن جرير ٢١/٢١٥، وتفسير ابن كثير ٧/٦٧.
(٢) تفسير ابن عاشور ١/٣٦٣٦.
(٣) تفسير الزمخشري ١/١٠٩٣.
(٤) تفسير ابن عاشور ١/٣٦٣٦.
(٥) تفسير ابن جرير ٢١/٢١٨.

يعني: اختصصناهم بذكر الله تعالى، وبذكر الجنة، وليس لهم همّ إلا همّ الآخرة"[١].

"ويجوز أن يكون (ذكرى) مرادف الذِّكر -بكسر الذال- أي الذكر الحسن، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ وتكون (الدار) هي الدار الدنيا... وعطف عليه ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ لأنه مما يبعث على ذكرهم بأنهم اصطفاهم الله من بين خلقه فقربهم إليه وجعلهم أخيارا، والأخيار: جمع خيِّر بتشديد الياء، أو جمع خير بتخفيفها، مثل الأموات جمعاً لميّت وميت، وكلتا الصيغتين تدل على شدة الوصف في الموصوف"[٢].

٤- انفراد إسماعيل عليه السلام بالذكر المستقل المصدر بفعل ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ يدل على فضله وعلو مكانته؛ قال البقاعي: "ولما أتم الأمر بذكر الخليل وابنه عليهما السلام الذي لم يخرج من كنفه قط، ونافلته المبشر به للتأسي بهم في صبرهم على الدين وإن خالفهم من خالفهم، أتبعه ولده الذي أُمر بالتجرد عنه مرة بالإسكان عند البيت الحرام، ليصير أصلاً برأسه في أشرف البقاع، ومرة بالأمر بذبحه في تلك المشاعر الكرام، فصار ما أضيف إليه من الأحوال والأفعال من المناسك العظام ﷺ، وأفرده بالذكر دلالة على أنه أصل عظيم برأسه من أصول الأئمة الأعلام، فقال: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾ أي أباك وما صبر عليه من البلاء بالغربة والانفراد والوحدة، والإشراف على الموت في الله غير مرة، وما صار إليه بعد ذلك البلاء من الفرج والرئاسة والذكر في هذه

(١) تفسير السمرقندي ١٣٨/٣.

(٢) تفسير ابن عاشور ٣٦٣٦/١.

البلدة"[1].

وقال ابن عاشور: "فصل ذكر إسماعيل عن عده مع أبيه إبراهيم وأخيه إسحاق؛ لأن إسماعيل كان جد الأمة العربية أي معظمها فإنه أبو العدنانيين، وجد للأم لمعظم القحطانيين؛ لأن زوج إسماعيل جرهمية فلذلك قطع عن عطفه على ذكر إبراهيم وعاد الكلام إليه هنا[2].

وما ذكره البقاعي وابن عاشور أظهر وأولى مما ذكره الماوردي عن مقاتل رحمه الله من أن فصل إسماعيل عليه السلام عن أبيه وأخيه لأنه لم يبتل بشيء؛ فقال: "قال مقاتل: ذكر الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولم يذكر معهم إسماعيل لأن إبراهيم صبر على إلقائه في النار، وصبر إسحاق على الذبح، وصبر يعقوب على ذهاب بصره، ولم يبتل إسماعيل ببلوى"[3]، وهذا قول غريب فإن وصف إسماعيل عليه السلام بالصبر جاء صريحاً في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)﴾.

وأيد ذلك أيضاً ابن عطية حيث قال: "وتأول قوم من المتأولين من هذه الآية أن الذبيح {إسحاق} من حيث ذكره الله بعقب ذكر أيوب أنبياء امتحنهم بمحن كما امتحن أيوب، ولم يذكر إسماعيل لأنه ممن لم يمتحن، وهذا ضعيف كله"[4].

٥- اقتران ذكر اليسع وذي الكفل بذكر إسماعيل عليهم السلام يدل على اختصاصهما بأمر عظيم فوق الوصف بالخيرية الثابتة لجميع الأنبياء والمرسلين فلا يكون ذكرهما بعد ذكر إسماعيل أولى من ذكر

(١) نظم الدرر ١٦/٣٩٨-٣٩٩.

(٢) تفسير ابن عاشور ١/٣٦٣٦.

(٣) تفسير الماوردي ٣/٤٩٨، وذكره قبله السمرقندي٣/١٣٨، ولم ينسبه.

(٤) تفسير ابن عطية ٥/٤٥٤.

غيرهما من ذوي الخيرية الذين شملهم لفظ الأخيار والاصطفاء[١]، ولم يذكر لنا في كتاب الله تعالى حدث ظاهر لليسع وذي الكفل فالله تعالى أعلم به.

"وأما عطف ذي الكفل على إسماعيل فلأنه مماثل لإسماعيل في صفة الصبر، قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾"[٢].

* * *

(١) تفسير ابن عاشور ٣٦٣٦/١.

(٢) تفسير ابن عاشور ٣٦٣٦/١.

الفصل الثاني

السور التي انفردت بذكر إسحاق عليه السلام

المبحث الأول: سورة هود عليه السلام:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود/٧١].

ورد ذكر إسحاق عليه السلام في سورة هود عليه السلام مرة واحدة؛ في سياق الحديث عن أبيه إبراهيم عليه السلام، وبشارة الملائكة له بولادة إسحاق، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾.

والمراد بالبشرى هنا بشارة الملائكة إبراهيم عليه السلام بإسحاق، وقيل: البشارة بهلاك قوم لوط[1]؛ "ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾ [هود: ٧٤]"[2].

وانتصر البقاعي لهذا القول فقال: "والحكم العدل على ذلك كله قوله تعالى في الذاريات: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى

---

(١) تفسير ابن جرير ٣٨٢/١٥، وذكر القولين البغوي ٦٢٤، واقتصر السمرقندي على القول الأول؛ وهو أن البشارة بالولد. بحر العلوم ١٣٤/٢،

(٢) تفسير ابن كثير ٢٨٧/٤، وجعله الزمخشري قولاً ظاهراً، الكشاف ٥٥٢/١، ونصره الشنقيطي فقال: "والظاهر القول الأول: وهذه الآية الأخيرة تدل عليه لأن فيها التصريح بأن إخبارهم بإهلاك قوم لوط بعد مجيئهم بالبشرى، لأنه مرتب عليه بأداة الشرط التي هي « لما » كما ترى ". أضواء البيان ٢٩٧/٢.

صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ [الذاريات ٢٨-٢٩] الآية"(١).

فوائد من الآيات:

١- هذه الآيات من سورة هود عليه السلام فيها بيان لزمن البشارة بإسحاق عليه السلام، وأنها عند نزول العذاب على قوم لوط عليه السلام، مما يدل على وجود فاصل زمني كبير بين دعاء إبراهيم عليه السلام ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الصافات/١٠٠، ١٠١] وبين هبة الله له إسحاق ويعقوب، مما يرجح أن يكون المُبَشَر به في سورة الصافات المقترن بحرف العطف الفاء مغايراً لإسحاق عليه السلام، وأن البشارة بإسحاق عليه السلام الواردة بعد قصة الذبح في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصافات/١١٢] متأخرة، وأنها وقعت وقت مجيء الملائكة لإبراهيم عليه السلام بهلاك قوم لوط، والله تعالى أعلم.

والقول بتعدد البشارة بإسحاق عليه السلام؛ مرة بولادته، وأخرى بنبوته، وثالثة بولادة يعقوب من ورائه؛ هذا القول يحتاج إلى دليل، ولا دليل عليه، والغالب في تكرار قصص القرآن أن يُذكر في كل موضع زيادة على ما ذكر في غيره مع أن الحدث واحد، وأمثلة هذا كثيرة(٢).

٢- دلت الآيات على أن البشارة بإسحاق ومن ورائه يعقوب قد وقعت في مقام واحد بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا

---

(١) نظم الدرر ٩/٣٣١.

(٢) انظر كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي حيث ذكر عدداً من فوائد تكرار القصة الواحدة في كتاب الله تعالى، وأن ذلك ليس لمحض التكرار بل فيه فوائد من التقرير والتأكيد وزيادة التنبيه، وغيرها. الإتقان ٢/١٧٩.

بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾ [هود/٧١]

ونستفيد من هذا أن إبراهيم عليه السلام قد بُشِّر بالولد مرتين؛ مرة بإسماعيل، ومرة بإسحاق عليهما السلام، وقد اجتمعت هاتان البشارتان في سورة الصافات كما سيأتي إن شاء الله تعالى(١).

٣- وردت البشارة لإبراهيم عليه السلام بإسحاق ووصفه بالغلام العليم في سورتين؛ هما: الحجر، والذاريات، ولم يرد فيهما التصريح باسمه؛ قال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر٥١-٥٦] وقال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٢) [الذاريات ٢٤-٣٧]

وهذه البشارة من الملائكة لإبراهيم عليه السلام في سورة الحجر

---

(١) في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(٢) ﴿فِى صَرَّةٍ﴾ الصرة: الصيحة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمت وجهها، وهذا يفعله غالباً الذي يرد عليه أمر يستهوله. المحرر الوجيز ٦/٢٠٣.

وسورة الذاريات هي البشارة نفسها المذكورة في سورة هود عليه السلام؛ لأن البشارة جاءت من الملائكة الذين أرسلهم الله عز وجل لإهلاك قوم لوط عليه السلام، مع زيادة البشارة في سورة هود لامرأة إبراهيم بيعقوب عليه السلام من وراء إسحاق، فتكون البشارة بإسحاق وابنه يعقوب وقعت في مقام واحد؛ وعليه فكيف يُبشر إبراهيم عليه السلام مع امرأته بإسحاق ومن ورائه يعقوب ثم يؤمر بعد ذلك بذبحه؟ هذا لا يستقيم.

قال ابن كثير: "ومن هاهنا استدل من استدل بهذه الآية، على أن الذبيح إنما هو إسماعيل، وأنه يمتنع أن يكون هو إسحاق؛ لأنه وقعت البشارة به، وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يؤمر إبراهيم بذبحه وهو طفل صغير، ولم يولد له بعد يعقوب الموعود بوجوده، ووعد الله حق لا خُلْفَ فيه، فيمتنع أن يؤمر بذبح هذا والحالة هذه، فتعين أن يكون هو إسماعيل وهذا من أحسن الاستدلال وأصحه وأبينه، ولله الحمد"[1].

٤- قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ﴾ قال ابن جرير في سبب القيام: "قيل: كانت قائمة من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام إبراهيم عليه السلام، وقيل: كانت قائمة تخدُم الرسل، وإبراهيم عليه السلام جالسٌ مع الرسل"[2].

٥- ضحك امرأة إبراهيم عليه السلام هو "الضحك المعروف تعجبًا من أنَّها وزوجها إبراهيم يخدمان ضِيفانهم بأنفسهما، تكرمةً لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون"[3].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٢٨٨.

(٢) تفسير ابن جرير ١٥/٣٨٩، وذكره البغويّ ٦٢٥.

(٣) تفسير ابن جرير ١٥/٣٨٩، ونسبه البغويّ ٦٢٥، للأكثرين.

ويحتمل أن يكون سبب ضحكها: "حين بشرت بإسحاق تعجباً من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها"[(١)].

وبعد أن ذكر ابن جرير عدداً من الأقوال في بيان سبب الضحك قال: "وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب قولُ من قال: معنى قوله: "فضحكت" فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب؛ لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ فإذ كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: (لا تخف) كان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط"[(٢)].

٦- "الوراء" في كلام العرب، ولد الولد[(٣)].

٧- قال ابن عطية: "وهذه الآية تدل على أن الذبيح هو إسماعيل، وأنه أسن من إسحاق؛ وذلك أن سارة كانت في وقت إخدام الملك الجائر هاجر أم إسماعيل امرأة شابة جميلة حسبما في الحديث، فاتخذها إبراهيم عليه السلام أم ولد، فغارت بها سارة، فخرج بها وبابنها إسماعيل من الشام على البراق، وجاء من يومه مكة فتركهما - حسبما في السير - وانصرف إلى الشام من يومه، ثم كانت البشارة بإسحاق، وسارة عجوز متجالة، وأما وجه دلالة الآية على أن إسحاق ليس بالذبيح فهو أن سارة

---

(١) تفسير ابن جرير ٣٩١/١٥، وذكر أيضاً أقوالاً أخرى في المراد بالضحك؛ ومنها: أي: حاضت، ونسبه بسنده لمجاهد، وقال الشيخ أحمد شاكر عن إسناده: فهذا خبر هالك من جميع نواحيه٣٩٢/١٥.

(٢) تفسير ابن جرير ٣٩٤/١٥.

(٣) تفسير ابن جرير ٣٩٤/١٥.

وإبراهيم بشرا بإسحاق وأنه يولد له يعقوب، ثم أمر بالذبح حين بلغ ابنه معه السعي، فكيف يؤمر بذبح ولد قد بشر قبل أنه سيولد لابنه ذلـــك، وأيضاً فلم يقع قط في أثر أن إسحاق دخل الحجاز، وإجماع أن أمر الذبح كان بمنى..."[1].

٨- في توجيه البشارة لسارة امرأة إبراهيم عليه السلام تسلية لها؛ لأنه لما "ولد لإبراهيم إسماعيل عليهما السلام من هاجر تمنت سارة أن يكون لها ابن، وأيست لكبر سنها، فبشرت بولد يكون نبياً ويلد نبياً، فكان هـــذا بشارة لها بأن ترى ولد ولدها"[2].

* * *

(١) تفسير ابن عطية ٤٤٥/٣، وذكر نحوه أبو حيان في تفسيره ٤٢٩/٦، ومعنى متجالة: أي أَسَنَّت وكَبِرَتْ. لسان العرب ١١٦/١١، مادة جلل. ويذكر هنا تخريج خبر إخدام سارة هاجر. البخاري باب فأقبلوا إليه يزفون، ومسلم في الفضائل باب فضائل إبراهيم عليه السلام.

(٢) البحر المحيط ٤٢٨/٦.

المبحث الثاني: سورة يوسف عليه السلام

ذكر إسحاق عليه السلام مرتين في سورة يوسف عليه السلام تابعاً لذكر أبيه إبراهيم عليه السلام:

الأول: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف ٦].

ذكر إسحاق عليه السلام لمناسبة الحديث عن رؤيا يوسف عليه السلام وإتمام نعمة الله عليه وعلى أبيه وجده.

الثاني: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف ٣٨].

سياق الآية في الحديث عن دعوة يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن، وإخباره لهما أنه متبع لملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب.

فائدة: لعل في ذكر ما حدث بين أبناء يعقوب أحفاد إسحاق عليهما السلام تعريض بأهل الكتاب؛ بأن حسدكم لمحمد ﷺ لن يمنع من إظهار الله عز وجل فضله، فهؤلاء إخوة يوسف عليه السلام حسدوه، وكادوا له، وحاولوا قتله فأظهره الله عليهم، فاعترفوا له بالفضل والمكانة، وطلبوا منه المغفرة والمسامحة.

وهنا سؤال: لماذا لم يذكر يوسف عليه السلام عمه إسماعيل عليه السلام مع أن أبناء يعقوب عليه السلام قد ذكروه في سؤال يعقوب لهم في سورة البقرة: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ

إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة ١٣٣].

لعل الجواب – والله أعلم- أن سياق الآية في سورة البقرة كان الكلام فيه موجهاً من أبناء يعقوب لأبيهم يعقوب عليه السلام فقالوا له: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ﴾ وإسماعيل عمه والعم بمترلة الأب، بخلاف قول يوسف عليه السلام لصاحبيه في السجن؛ فإنه أخبرهما عن آبائه فلم يذكر إسماعيل عليه السلام معهم؛ لأنه عم أبيه فقال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾.

ويحتمل أيضاً أن يوسف عليه السلام لم يذكر عمه إسماعيل لكونه غير مشتهر عند المخاطبين حيث عاش إسماعيل عليه السلام في مكة و لم يسكن الشام بخلاف آبائه؛ قال الخازن: "وقيل لما كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا عند الخلق والمترلة الرفيعة في الآخرة أظهر يوسف عليه السلام أنه من أولادهم وأنه من أهل بيت النبوة ليسمعوا قوله ويطيعوا أمره فيما يدعوهم إليه من التوحيد".

وقال الزمخشري: "وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله"[(١)].

قال الرازي: "ثم قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ﴾ وفيه سؤالات:

السؤال الأول: ما الفائدة في ذكر هذا الكلام.

---

(١) الكشاف ٥٨٧/١.

الجواب: أنه ﷺ لما ادعى النبوة وتحدى بالمعجزة وهو علم الغيب قرن به كونه من أهل بيت النبوة، وأن أباه وجده وجد أبيه كانوا أنبيـــاء الله ورسله، فإن الإنسان متى ادعى حرفة أبيه وجده لم يستبعد ذلك منه، وأيضاً فكما أن درجة إبراهيم ﷺ وإسحاق ويعقوب كان أمراً مشهوراً في الدنيا، فإذا ظهر أنه ولدهم عظموه ونظروا إليه بعين الإجلال، فكـــان انقيادهم له أتم وأثر قلوبهم بكلامه أكمل[1].

* * *

(١) تفسير الرازي ٤٢/٩.

المبحث الثالث: سورة العنكبوت

ورد ذكر إسحاق عليه السلام مرة واحدة في سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت٢٦، ٢٧].

سياق الآيات في ذكر دعوة إبراهيم عليه السلام لقومه ومعاداهم له، وهمِّ قومه بإحراقه، وإنجاء الله له من النار، وأن الله تعالى قد مَنَّ عليه بإيمان لوط عليه السلام، وأن الله تعالى أكرمه بعد ذلك بأن وهب له إسحاق ويعقوب؛ والجمع بينهما يدل على أن البشارة وقعت بهما معاً كما جاء ذلك صريحاً في سورة هود عليه السلام: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود ٧١].

وعطف الهبة بالواو في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ يدل على فاصل زمني بين هجرة إبراهيم عليه السلام وهبة إسحاق ويعقوب، هذا الفاصل الزمني هو مدة دعوة لوط عليه السلام لقومه؛ لأن البشارة جاءت مع إتيان الملائكة بخبر إهلاك قوم لوط، فبقيت آية الصافات منفردة باقتران البشارة لإبراهيم عليه السلام بالولد بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات ٩٨-١٠٢] وليس في آية الصافات حديث عن نبي الله لوط عليه السلام، وليس فيها أيضاً حديث عن امرأة إبراهيم عليه السلام، فهي بشارة

مستقلة جاءت بعد الدعاء ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

وقد صرح البقاعي رحمه الله بهذا فقال:

"وعطفه لهبته له بالواو دليل على ما سيأتي إن شاء الله تعالى في الصافات من أن الذبيح إسماعيل عليه السلام لتعقيبه للهبة هناك على الهجرة بالفاء"[(١)].

وعلى هذا فالضمير في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يرجع لإبراهيم عليه السلام، قال السمرقندي: "﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ ﴾ يعني: من ذرية إبراهيم النبوة والكتاب يعني أكرم الله عز وجل ذريته بالنبوة، وأعطاهم الصحف"[(٢)].

و لم يأت الضمير بصيغة التثنية؛ لأن الابن يتبع الأب بخلاف الضمير في سورة الصافات ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ فقد جاء بصيغة التثنية لأنه راجع إلى الأخوين إسماعيل الغلام الحليم وإسحاق الغلام العليم، ويبعد أن يكون ضمير التثنية راجعاً إلى إبراهيم وإسحاق لأن الفرع يتبع الأصل كما هو هنا في سورة العنكبوت. والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: "﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ هذه خِلْعَة سَنية عظيمة[(٣)]، مع اتخاذ الله إياه خليلاً وجعله للناس إماماً، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام، إلا وهو من سلالته، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سُلالة يعقوب

---

(١) نظم الدرر ١٤/٤٢٦.

(٢) بحر العلوم للسمرقندي٢/٥٣٦.

(٣) يقال: خلع عليه خلعة أعطاه أو ألبسه إياها. المعجم الوسيط ١/ ٥٢١.

ابن إسحاق بن إبراهيم، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم، فقام في ملئهم مبشراً بالنبي العربي القرشي الهاشمي، خاتم الرسل على الإطلاق، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العَرْباء[١]، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام: ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه، عليه أفضل الصلاة والسلام من الله تعالى"[٢].

وقد ذكر الرازي رحمه الله لفتة جميلة في الآية فقال:

"وفي الآية لطيفة: وهي أن الله بدل جميع أحوال إبراهيم في الدنيا بأضدادها؛ لما أراد القوم تعذيبه بالنار وكان وحيداً فريداً فبدل وحدته بالكثرة حتى ملأ الدنيا من ذريته، ولما كان أولاً قومه وأقاربه القريبة ضالين مضلين من جملتهم آزر، بدل الله أقاربه بأقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة والكتاب، وكان أولاً لا جاه له ولا مال وهما غاية اللذة الدنيوية آتاه الله أجره من المال والجاه"[٣].

سؤال: ما الحكمة من الاقتصار هنا في سورة العنكبوت على ذكر إسحاق ويعقوب عليهما السلام دون ذكر إسماعيل.

لعل **الجواب** -والله أعلم-: لمناسبة ذكر لوط عليه السلام فإن البشارة بإسحاق ويعقوب متصلة به.

وأيضاً: لأن المقام مقام امتنان وفضل بجعل النبوة والكتاب في ذرية إبراهيم عليه السلام، وهذا متحقق وظاهر في ذرية إبراهيم من جهة ابن ابنه يعقوب.

قال الزمخشري: "فإن قلت: ما بال إسماعيل عليه السلام لم يذكر وذكر

---

(١) العرب العَرْباء: هم الخُلَّصُ منهم. الصحاح في اللغة ١/٤٥٥.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/٢٤٨-٢٤٩.

(٣) تفسير الرازي ١٢/١٥٥، ونقله بنصه ابن عادل في تفسيره ١٥/٣٤٢، ولم ينسبه.

إسحاق وعقبه؟ قلت: قد دل عليه في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ وكفى الدليل لشهرة أمره وعلو قدره[1].

قال البقاعي: "ولما كان السياق في هذه السورة للامتحان، وكان إبراهيم عليه السلام قد ابتلي في إسماعيل عليه السلام بفراقه مع أمه رضي الله عنهما، ووضعهما في قضيعة[2] من الأرض لا أنيس بها، لم يذكره تصريحاً في سياق الامتنان، وأفرد إسحاق عليه السلام؛ لأنه لم يبتل فيه بشيء من ذلك، ولأن المنة به -كون أمه عجوزاً وعقيماً- أكبر وأعظم لأنها أعجب، وذكر إسماعيل عليه السلام تلويحاً في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ أي بعزتنا وحكمتنا ﴿فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾ من ولد إسحاق وإسماعيل عليهما الصلاة والسلام ﴿ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فلم يكن بعده نبي أجنبي عنه، ومتى صحت هذه المناسبة لزم قطعاً أن يكون الذبيح إسماعيل عليه السلام؛ فإنه أعرى ذكر هذه السورة منه، ويكون كأنه قيل: إنا بشرناه بما يُسرُّ به من إسحاق بعد أن أمرناه بما يضر من إسماعيل عليه السلام فصبر في محنة الضراء، وشكر في محنة السراء"[3].

وقد نبه ابن عاشور رحمه الله على أن هبة إسحاق ويعقوب منفصلة عن قصة الإحراق بالنار فقال في قوله تعالى: "﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ هذا الكلام عقبت به قصة إبراهيم تبياناً لفضله إذ لا علاقة له بالقصة، والظاهر أن يكون المراد بـ ﴿وَوَهَبْنَا﴾ ﴿وَجَعَلْنَا﴾ الإعلام بذلك فيكون من تمام القصة كما في سورة هود"[4].

---

(١) تفسير الزمخشري ٩٥١/١، ونقله عنه الألوسي ٢٦٤/١٥.

(٢) هكذا في نظم الدرر، ولعل الصواب قطعة من الأرض. والله أعلم.

(٣) نظم الدرر ٤٢٦/١٤-٤٢٧.

(٤) تفسير ابن عاشور ٣١٩٣/١.

الفصل الثالث

سورة الصافات

سورة مكية، عدد آياها مائة واثنان وثمانون آية.

ورد فيها ذكر إسحاق عليه السلام صريحاً مرتين؛ قال تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات ١١٢- ١١٣] .

وسورة الصافات هي السورة الوحيدة التي ورد فيها ذكر رؤيا إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ابنه، وليس فيها التصريح باسم الابن؛ قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات ٩٩-١٠٢] ولذا وقع النزاع بين المفسرين في تعيين الذبيح؛ فمن قائل: إنه إسماعيل، ومن قائل: إنه إسحاق، ومن قائل بالتوقف، وأغرب الأقوال أن قصة الذبح وقعت مرتين[١]، وما هذا الاختلاف إلا بسبب ترك تسميته صريحاً في هذه السورة؛ وفي ترك التصريح باسم الذبيح حكمة -الله تعالى أعلم بها- وقد وقفت على كلام حسن لابن عاشور رحمه الله تعالى حاول من خلاله تلمس حكمة ترك التصريح باسم الذبيح في السورة فقال:

"وقد أشارت هذه الآيات إلى قصة الذبيح، و لم يسمه القرآن؛ لعله

(١) ذكره الألوسي ٢١٥/١٧، وقال بعده: "والتوقف عندي خير من هذا القول".

لئلا يثير خلافاً بين المسلمين وأهل الكتاب في تعيين الذبيح من ولدي إبراهيم، وكان المقصد تألف أهل الكتاب لإقامة الحجة عليهم في الاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديق القرآن، ولم يكن ثمة مقصد مهم يتعلق بتعيين الذبيح، ولا في تخطئة أهل الكتاب في تعيينه، وأمارة ذلك أن القرآن سمى إسماعيل في مواضع غير قصة الذبح، وسمى إسحاق في مواضع، ومنها بشارة أمه على لسان الملائكة الذين أرسلوا إلى قوم لوط، وذكرَ اسمي إسماعيل وإسحاق أنهما وهبا له على الكبر، ولم يسم أحداً في قصة الذبح قصداً للإبهام مع عدم فوات المقصود من الفضل؛ لأن المقصود من القصة التنويه بشأن إبراهيم فأي ولديه كان الذبيح كان في ابتلائه بذبحه وعزمه عليه وما ظهر في ذلك من المعجزة تنويه عظيم بشأن إبراهيم، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت:٤٦] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم"[(١)].

ولقوة الخلاف الواقع بين المفسرين في تعيين الذبيح نجد القول بالتوقف يميل إليه عدد من المفسرين لعدم وجود دليل صريح يوجب القطع بتعيين أحدهما؛ قال الشوكاني بعد أن ساق الاختلاف في تعيين الذبيح وأدلة كل فريق: "وبما سقناه من الاختلاف في الذبيح هل هو إسحاق، أو إسماعيل؟ وما استدل به المختلفون في ذلك تعلم أنه لم يكن في المقام ما يوجب القطع، أو يتعين رجحانه تعيناً ظاهراً، وقد رجح كل قول طائفة من المحققين المنصفين كابن جرير، فإنه رجح أنه إسحاق،

(١) تفسير ابن عاشور ٦٨/٢٣، والحديث أخرجه البخاري ١٦٣٠/٤، رقم ٤٢١٥، كتاب التفسير باب: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ﴾.

ولكنه لم يستدل على ذلك إلا ببعض مما سقناه هاهنا، وكابن كثير فإنه رجح أنه إسماعيل، وجعل الأدلة على ذلك أقوى، وأصح، وليس الأمر كما ذكره، فإنها إن لم تكن دون أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق لم تكن فوقها، ولا أرجح منها، ولم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيء؛ وما روي عنه، فهو إما موضوع، أو ضعيف جدًّا، ولم يبق إلا مجرّد استنباطات من القرآن كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وهي محتملة، ولا تقوم حجة بمحتمل، فالتوقف هو الذي لا ينبغي مجاوزته، وفيه السلامة من الترجيح بلا مرجح، ومن الاستدلال بما هو محتمل[(١)].

وممن توقف في الترجيح السمرقندي والزجاج حيث قالا: "الله أعلم أيهما الذبيح"[(٢)].

وقال جلال الدين السيوطي: "كنت ملت إلى القول بأن الذبيح إسحاق في التفسير وأنا الآن متوقف عن ذلك"[(٣)].

وهذا ما حدا ببعض المفسرين إلى ذكر القولين دون ترجيح؛ منهم: الماوردي، والبغوي، والثعلبي، والزمخشري، والخازن، والجلالين، وابن جزي، وغيرهم.

وأهل الكتاب مجمعون على القول بأن الذبيح إسحاق[(٤)]، وليس لهم في ذلك إلا أدلة يسوقونها من كتبهم التي دخلها التحريف والتبديل، ولا سبيل للجزم بشيء منها؛ قال الألوسي رحمه الله تعالى: "... إلى غير ذلك من الأخبار وفيها من الموقوف والضعيف والموضوع كثير، ومتى صح

(١) تفسير الشوكاني ٦/٢١٤.

(٢) تفسير السمرقندي ٣/٤٩٥، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٥٤.

(٣) القول الفصيح في تعيين الذبيح ٢٠.

(٤) تفسير البغوي ٧/٤٦، وتفسير الخازن ٥/٢٦٦، وتفسير الشوكاني ٦/٢٠٨.

حديث مرفوع في أنه إسحاق قبلناه ووضعناه على العين والرأس"[1].

وبما أنه ليس في تعيين الذبيح حديث صريح صحيح يقطع النزاع فسأذكر هنا ما وقفت عليه من أدلة الفريقين دون إطالة في المناقشة، وأختم إن شاء الله تعالى بما يظهر رجحانه من خلال سياق الآيات فإنها الطريق الوحيد للجزم بترجيح أحد القولين، والله المستعان:

* القول الأول: الذبيح إسحاق عليه السلام:

أخرجه بإسناده ابن جرير عن العباس بن عبد المطلب يرفعه، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس من طريق عكرمة فقط، وكعب الأحبار، وعكرمة، وقتادة، ومسروق، وعبيد بن عمير، وابن أبي الهذيل، وابن سابط[2]، رضي الله عنهم ورحمهم، ونسبه القرطبي للأكثر[3]، واختاره ابن جرير[4]، والنحاس[5]، وجزم به القاضي في الشفاء، والسهيلي في التعريف والإعلام[6].

* أدلة القائلين بأن الذبيح إسحاق عليه السلام:

١- أن البشارة في كتاب الله تعالى جاءت صريحة بإسحاق في غير

(١) تفسير الألوسي ٢١٤/١٧.

(٢) تفسير ابن جرير١٩/٥٨٨-٥٩٢. قال ابن كثير ٣٣/٧، عن خبر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه المرفوع بأن الذبيح إسحاق: "في إسناده ضعيفان، وهما الحسن بن دينار البصري، متروك. وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحدث".

(٣) تفسير القرطبي ٨٨/١٥.

(٤) تفسير ابن جرير ٥٩٨/١٩.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٨٤٥.

(٦) الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض ٩٩/١، والتعريف والإعلام للسهيلي ٣٥.

سورة الصافات فيتعين أن يكون المبشَّر به في سورة الصافات هو إسحاق، وتكون البشارة الثانية بشارة بنبوته؛ قال ابن جرير: "وأولى القولين بالصواب في المَفْديّ من ابني إبراهيم خليل الرحمن على ظاهر التتريل قول من قال: هو إسحاق؛ لأن الله قال: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ ﴾ فذكر أنه فدَى الغلامَ الحليمَ الذي بُشِّر به إبراهيم حين سأله أن يهب له ولدًا صالحًا من الصالحين، فقال: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ فإذ كان المفديّ بالذبح من ابنيه هو المبشَّر به، وكان الله تبارك اسمه قد بين في كتابه أن الذي بُشِّر به هو إسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، فقال جل ثناؤه: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ ..."[(١)].

٢- قال السمرقندي: وأما الذي يقول: هو إسحاق يحتج بما روي في الخبر، أنه ذكر نسبة يوسف، فقال: كان يوسف أشرف نسباً؛ يوسف صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله[(٢)].

٣- ومن الأدلة ما ذكره الزمخشري قال: "ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله"[(٣)].

---

(١) تفسير ابن جرير ١٩/٥٩٨.

(٢) تفسير السمرقندي ٣/٤٩٥.

(٣) الكشاف ٢/٢٠٩، قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ٣/١٧٩: "قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ هَذَا حَدِيث مَوْضُوع بَاطِل وَإِسْحَاق بن وهب الطهرمسي يضع الحَدِيث عَلَى ابن وهب وَغيره حدث عَنهُ بِهَذَا الْإِسْنَاد أَحَادِيث لَا أصل لَهَا انْتَهَى". وقال البيضاوي ٢/٢٠: "وما روي أنه عليه الصلاة والسلام سئل أي النسب أشرف فقال: يوسف صديق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن خليل الله فالصحيح أنه قال: يوسف بن =

*** القول الثاني: الذبيح إسماعيل عليه السلام:**

أخرجه بسنده ابن جرير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وعن ابن عباس رضي الله عنهما من عشرة طرق؛ ومنها طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال: المَفْدِيّ إسماعيل، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود.

وأخرجه أيضاً عن عامر الشعبي؛ وفيه أنه قال في هذه الآية: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ قال: هو إسماعيل، قال: وكان قَرْنا الكبش مَنُوطَيْن بالكعبة.

وأخرج القول بأن الذبيح إسماعيل ابنُ جرير عن يوسف بن مهران، ومجاهد من طريقين، والحسن البصري وأنه كان لا يشك في ذلك؛ أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم: إسماعيل، كما أخرجه أيضاً عن محمد بن كعب القرظي، في خبر طويل أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، إذ كان معه بالشام فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه، وإني لأراه كما هو؛ ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً، فأسلم فحسُن إسلامه، وكان يرى أنه من علماء يهود، فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك، فقال محمد بن كعب: وأنا عند عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر: أيّ ابني إبراهيم أُمِر بذبحه؟ فقال: إسماعيل واللهِ يا أمير المؤمنين، وإن يهود لتعلم بذلك، ولكنهم يحسُدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه، والفضل الذي ذكره الله

=

يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم، والزوائد من الراوي، وما روي أن يعقوب كتب إلى يوسف مثل ذلك لم يثبت".

منه لصبره لما أمر به، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنـــه إســـحاق، لأن إسحاق أبوهم، فالله أعلم أيهما كان، كل قد كان طاهراً طيبـــاً مطيعـــاً لربه.

وأخرج ابن جرير بسنده عن الصّنَابحي، قال: كنا عند معاوية بـــن أبي سفيان رضي الله عنه، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: على الخبير سقطتم: كنا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فجـــاءه رجـــل، فقال: يا رسول الله عُد عليّ مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين؛ فضحك عليه الصلاة والسلام؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبد المطلب لما أُمِر بحفْر زمزم، نذر لله لئن سَهُل عليه أمرها ليذبحنّ أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا: افْدِ ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمئة من الإبل، وإسماعيل الثاني[١].

وقال ابن أبي حاتم: "وسمعت أبي يقـــول: الصـــحيح أن الـــذبيح إسماعيل"[٢].

وسئل عبد الله ابن الإمام أحمد عن الذبيح، فقال: أكثـــر الحـــديث إسماعيل عليه السلام كان أبي رحمه الله يميل إلى هذا[٣].

ورجح القول بأن الذبيح إسماعيل ابنُ عطية وذكره عن والده فقال:

---

(١) تفسير ابن جرير ١٩/٥٩٢-٥٩٨، قال ابن كثير ٣٥/٧، عن حديث يا ابن الـــذبيحين: "هذا حديث غريب جدا". والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك رقم ٣٩٧٠، وقـــال الذهبي في التلخيص: إسناده واه.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ١٠٨/١٢.

(٣) كتاب الزهد ٣٩١، ونقله ابن كثير في تفسيره ٢٦/٧، بلفظ: "وقال عبد الله بن الإمـــام أحمد بن حنبل رحمه الله: سألت أبي عن الذبيح، من هو؟ إسماعيل أو إسحاق؟ فقـــال: إسماعيل". وذكره ابن عادل في تفسيره ٣١٣/١٣، وقال بعده: "وعليه جمهور العلماء من السلف والخلف".

"وبه كان أبي رضي الله عنه يقول"[(١)].

واستظهر القول بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام البيضاوي فقال: "والأظهر أن المخاطب إسماعيل عليه السلام؛ لأنه الذي وهب له إثر الهجرة، ولأن البشارة بإسحاق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام"[(٢)].

وجزم بالقول بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فقال: "والذي يجب القطع به أنه إسماعيل يدل على ذلك الكتاب والسنة والتوراة"[(٣)].

وقال أبو حيان في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ "الظاهر أن هذه بشارة غير تلك البشارة، وأن الغلام الحليم المبشر به إبراهيم هو إسماعيل، وأنه هو الذبيح لا إسحاق[(٤)] ".

وقال ابن القيم رحمه الله: "وإسماعيل: هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً"[(٥)].

وجزم ابن كثير رحمه الله تعالى بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ "وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أولُ ولد بشر به إبراهيم، عليه السلام، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب"[(٦)].

---

(١) تفسير ابن عطية ٥/٤٢٢.

(٢) تفسير البيضاوي ١/٢٠.

(٣) مختصر الفتاوى المصرية ١/٤٨٧.

(٤) البحر المحيط ٩/٣١٠.

(٥) زاد المعاد ١/٧٠.

(٦) تفسير ابن كثير ٧/٢٧.

واختار هذا القول الألوسي في تفسيره ونصره[(١)].

وقال ابن سعدي رحمه الله تعالى في تفسير قول الله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ "وهذا إسماعيل عليه السلام بلا شك، فإنه ذكر بعده البشارة بإسحاق، ولأن اللّه تعالى قال في بشراه بإسحاق: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ فدل على أن إسحاق غير الذبيح، ووصف اللّه إسماعيل عليه السلام بالحلم، وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وسعة الصدر والعفو عمن جنى"[(٢)].

وقال سيد قطب رحمه الله: "هو إسماعيل كما يرجح سياق السيرة والسورة"[(٣)].

وقال ابن عاشور رحمه الله: "فالغلام الذي بشر به هو الولد الأول الذي ولد له وهو إسماعيل لا محالة"[(٤)]

* أدلة القائلين بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام :

١- يستدل على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام بقول الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم: يا ابن الذبيحين، وبقوله صلى الله عليه وسلم: (أنا ابن الذبيحين) يعني إسماعيل وعبد الله أباه[(٥)].

---

(١) روح المعاني للألوسي ٢١٢/١٧.

(٢) تفسير ابن سعدي ٧٠٦.

(٣) في ظلال القرآن ١٨٨/٦.

(٤) تفسير ابن عاشور ١٤٩/٢٣، والقائلون بأن الذبيح إسماعيل يفوقون العد والحصر، منهم النسفي في تفسيره وغيره.

(٥) تفسير ابن عطية ٤٢٢/٥، قال في كشف الخفاء ١٩٩/١: حديث: (أنا ابن الذبيحين) كذا في الكشاف، قال الزيلعي وابن حجر في تخريج أحاديثه لم نجده بهذا اللفظ. وقال الألباني في السلسلة الضعيفة ٥٠٠/١: لا أصل له. وقول الأعرابي: يا ابن الذبيحين، سبق =

٢- ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] لو كان الذبيح إسحاق لكان الأمر بذبحه إما أن يقع قبل ظهور يعقوب منه، أو بعد ذلك، فالأول: باطل؛ لأنه تعالى لما بشرها بإسحاق، وبشرها معه بأنه يحصل منه يعقوب فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الأمر بذبحه، وإلا حصل الخلف في قوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾، والثاني باطل؛ لأن قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ يدل على أن ذلك الابن لما قدر على السعي ووصل إلى حد القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه، وذلك ينافي وقوع هذه القصة في زمان آخر، فثبت أنه لا يجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق[1].

٣- ويستدل بظاهر هذه الآية أنه بشر بإسماعيل، وانقضى أمر ذبحه، ثم بشر بإسحاق بعد ذلك[2].

٤- قال ابن عطية: سمعت والدي رضي الله عنه يقول: كان إبراهيم صلى الله عليه وسلم يجيء من الشام إلى مكة على البراق زائراً ويعود من يومه، وقد ذكر ذلك الثعلبي عن سعيد بن جبير، ولم يذكر إن ذلك على البراق وذكر القصة عن ابن إسحاق، وفيها ذكر البراق كما سمعت أبي يحكي[3].

=

تخريجه.

(١) الكشاف ٣/ ٢٠٩، وذكره الرازي أيضاً ١٣٩/١٣، وذكره مجملاً قبله ابن عطية ٤٢٢/٥،

(٢) تفسير ابن عطية ٤٢٢/٥،

(٣) تفسير ابن عطية ٤٢٢/٥، قال ابن كثير ٢٧/٧: "وقد كان إبراهيم عليه السلام، يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد "فاران" وينظر في أمرهما، وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعاً إلى هناك، فالله أعلم".

٥- ومن الأدلة على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام ما ذكره الزمخشري عن الأصمعي أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح؟ فقال: يا أصمعي أين عقلك، ومتى كان إسحاق بمكة؟ وإنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحر بمكة؟[١].

٦- ومن الأدلة: أن الله تعالى وصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٥] وهو صبره على الذبح، ووصفه أيضاً بصدق الوعد في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] لأنه وعد أباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به[٢].

٧- ومن الأدلة أيضاً: "أن الله تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] ثم طلب من الله تعالى ولداً يستأنس به في غربته فقال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ [الصافات: ١٠٠] وهذا السؤال إنما يحسن قبل أن يحصل له الولد؛ لأنه لو حصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد؛ لأن طلب الحاصل محال وقوله: ﴿هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، وكلمة من للتبعيض وأقل درجات البعضية الواحد فكأن قوله: ﴿مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد؛ فثبت أن هذا السؤال لا يحسن إلا عند عدم كل الأولاد؛ فثبت أن هذا السؤال وقع حال طلب الولد الأول، وأجمع الناس على أن إسماعيل متقدم في الوجود على إسحاق، فثبت أن المطلوب بهذا الدعاء هو إسماعيل، ثم إن الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبيح فوجب أن يكون الذبيح

(١) الكشاف ٣/ ٢٠٩، وذكره الرازي أيضاً ١٣٩/١٣.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٠٩، والرازي ١٣٩/١٣.

هو إسماعيل"[1].

٨- الثابت في التوراة أن الذبيح إسماعيل عليه السلام ولكنهم حرفوا؛ قال ابن تيمية رحمه الله: "... فإن فيها -أي التوراة- أنه قال لإبراهيم: اذبح ابنك وحيدك، وفي ترجمة أخرى: بكرك، وإسماعيل هو بكره ووحيده باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، لكن أهل الكتاب حرفوا فزادوا إسحاق فتلقى ذلك منهم من تلقاه وشاع بين المسلمين"[2].

٩- ومما يدل على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام أن البشارة بالذبيح ذكر فيها قصة ذبحه، فلما استوفى ذلك قال الله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ﴾فهما بشارتان؛ بشارة بالذبيح، وبشارة بابنه إسحاق وهذا بين[3].

١٠- "ومن الأدلة أيضاً أن قصة الذبح لم تذكر إلا في سورة الصافات، وفي سائر المواضع تذكر البشارة بإسحاق خاصة كما قال تعالى في سورة هود: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾، وقال تعالى في سورة الذاريات: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾وقال في سورة الحجر: ﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ولم يذكر مع البشارة بإسحاق أنه ذبيح مع تعدد المواضع، فإذا كان قد ذكر البشارة بإسحاق وحده غير مرة، ولم يذكر الذبح، ثم ذكر البشارتين جميعاً؛ البشارة بالذبيح، والبشارة بإسحاق بعده كان هذا من أبين الأدلة

(١) تفسير الرازي ١٣/١٤٠.
(٢) مختصر الفتاوى المصرية ١/٤٨٧.
(٣) المرجع السابق ١/٤٨٧.

على أن إسحاق ليس هو الذبيح، ويؤيد ذلك أنه ذكر هبته وهبة يعقوب لإبراهيم بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾﴾، وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ولم يذكر ذلك في الذبيح"[1].

١١- ومن الأدلة أيضاً "أن الله تعالى ذكر في الذبيح أنه غلام حليم، ولما ذكر البشارة بإسحاق قال: بغلام عليم في غير موضع، ولا بد لهذا التخصيص من حكمة، وهل يلغي اقتران الوصفين، والحليم الذي هو ثابت للصبر الذي هو خلق الذبيح، وإسماعيل وصف بالصبر في قوله: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ وهذا وجه فإنه قال: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ "[2].

١٢- ومن الأدلة أيضاً "أن البشارة بإسحاق كانت معجزة؛ لأن أمه عجوز عقيم، وأبوه قد مسه الكبر، والبشارة مشتركة لإبراهيم وامرأته، وأما البشارة بالذبيح فكانت لإبراهيم، وامتحن بذبحه دون الأم المبشرة، ولم تكن ولادته خرق عادة، وهذا يوافق ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الصحيح من أن إسماعيل لما ولد لهاجر غارت سارة، فذهب إبراهيم بإسماعيل وأمه إلى مكة، وهناك كان أمر الذبح"[3].

١٣- "ومن الأدلة أن قصة الذبيح كانت بمكة؛ فلهذا جعلت منى محلا للنسك من عهد إبراهيم، وإبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنيا البيت

(١) المرجع السابق ١/٤٨٧.

(٢) مختصر الفتاوى المصرية ١/٤٨٧.

(٣) المرجع السابق ١/٤٨٧.

بنص القرآن، و لم يقل أحد أن إسحاق ذهب إلى مكة، وبعض المفسرين من أهل الكتاب يزعم أن قصة الذبيح كانت في الشام، وهذا افتراء بين فإنه لو كان ببعض جبال الشام لعرف ذلك الجبل، وربما جعل منسكاً كما جعل المسجد الحرام الذي بناه إبراهيم وما حوله من المشاعر"(١).

١٤- ومن الأدلة: أن الله سبحانه أجرى العادة البشرية أن بكر الأولاد أحب إلى الوالدين ممن بعده، وإبراهيم عليه السلام لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته، والله تعالى قد اتخذه خليلاً، فأمره الله تعالى بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة؛ فلم يبق في الذبح مصلحة إذ كانت المصلحة إنما هي في العزم وتوطين النفس عليه، فقد حصل المقصود فنسخ الأمر وفدي الذبيح وصدق الخليل الرؤيا، ومعلوم أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود و لم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الأول(٢).

١٥- قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "ومن الأدلة أن سارة امرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة، فإنها كانت جارية، فلما ولدت إسماعيل وأحبه أبوه، اشتدت غيرة سارة، فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها، ويسكنها في أرض مكة، لتبرد عن سارة حرارة الغيرة وهذا من رحمته تعالى ورأفته، فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله، هذا مع رحمة الله لها وإبعاد الضرر عنها وجبره لها فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن

(١) المرجع السابق ٤٨٧/١.

(٢) زاد المعاد ٧٠/١.

الجارية، بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية فحينئذ يرق قلب السيدة عليها وعلى ولدها، وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها وأن الله لا يضيع بيتاً هذه وابنها منهم، وليري عباده جبره بعد الكسر ولطفه بعد الشدة، وأن عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم إلى يوم القيامة، وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره قال تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [القصص: ٥] وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم"[(١)].

١٦- ومن الأدلة أيضاً أن الله تعالى لما ذكر قصة الذبح والفداء وتبشير إبراهيم عليه السلام بإسحاق ونبوته قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات١١٢-١١٤]

فمرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ ﴾ يعود على إسماعيل عليه السلام المأمور بذبحه، وضمير: ﴿ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾ يعود على الولدين الصالحين إسماعيل وإسحاق، وإذا كان المقصود بالبركة في الذرية إبراهيم عليه السلام فيأتي إفراده بنسبة الذرية إليه وحده؛ قال تعالى في سورة العنكبوت بعد ذكر إبراهيم عليه السلام وهمّ قومه بإحراقه وإنجاء الله تعالى له: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ أي:

(١) المرجع السابق ١/٧٠.

ذرية إبراهيم عليه السلام، وهذا يؤيد أن ضمير التثنية في سورة الصافات: ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾ ﴾ يعود على إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، ويمتنع أن يعود على إبراهيم وإسحاق لأنهما ليسا في درجة واحدة؛ فإبراهيم أب وإسحاق ابن، ويدخل الابن وذريته في ذرية الأب، وهذا دليل واضح لمن تأمله.

قال البقاعي رحمه الله في بيان مرجع الضمير: " قوله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ ﴾ أي على الغلام الحليم، وهو الذبيح المحدث عنه الذي جر هذا الكلام كله الحديث عنه، وكان آخر ضمير محقق عاد عليه الهاء في: ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ ﴾ ثم في: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ وهذا عندي أولى من إعادة الضمير على إبراهيم عليه السلام؛ لأنه استوفى مدحه...﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾ أي الأخوين، ولا شك أن هذا أقرب وأقعد من أن يكون الضمير للأب والابن؛ لأن قران الأخوين في الإخبار عن ذريتهما أولى من قران الابن مع أبيه في ذلك، فيكون الابن حينئذ من جملة المخبر عنه بذرية الأب"[(١)].

* القول الراجح في تعيين الذبيح عليه السلام

يظهر -والله تعالى أعلم- رجحان القول بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام لظاهر السياق في هذه السورة، ولأنه الأكبر، والله تعالى وصف إسماعيل بالصبر وصدق الوعد وهما وصفان يناسبان قصة الذبح.

وأما الرواية عن بعض الصحابة والتابعين بأن الذبيح إسحاق؛ فقد

(١) نظم الدرر ١٤٣/٧، وذكره القرطبي ١٠١/١٥، عن المفضل وأنه كان يرجح القول بأن الذبيح إسماعيل لدلالة الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا ﴾.

أجاب عنها ابن كثير رحمه الله فقال: "وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق، وحكي ذلك عن طائفة من السلف، حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً، وليس ذلك في كتاب ولا سنة، وما أظن ذلك تُلقي إلا عن أحبار أهل الكتاب، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم، وذكر أنه الذبيح، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر:٥٣] وقال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود:٧١] أي: يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب، فيكون من ذريته عقب ونسل..."[(١)].

وقال البقاعي رحمه الله تعالى في دلائل ترجيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام: "وهذا الولد هو إسماعيل عليه السلام بلا شك لوجوه؛ منها: وصفه بالحليم، ووصف إسحاق عليه السلام في سورة الحجر بالعليم، ومنها: أن هذا الدعاء عند الهجرة حيث كان شاباً يرجو الولد، وهو بكره الذي ولد له بهذه البشرى، وهو الذي كان بمكة موضع الذبح، فجعلت أفعاله في ذبحه مناسك للحج في منى كما جعلت أفعال أمه في مكة المشرفة أول أمره عندما أشرف على الموت من العطش مناسك ومعالم هناك، وأما إسحاق عليه السلام فأتته البشرى فجأة وهو لا يرجو الولد لكبره ويأس امرأته، ولذلك راجع في أمره ولم ينقل أنه فارق أمه من بيت المقدس"[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٧/٧.

(٢) نظم الدرر ١٣٩/٧.

وقال أبو السعود في ترجيح هذا القول: "والأظهر الأشهر أن المخاطب إسماعيل عليه السلام؛ إذ هو الذي وهب إثر المهاجرة، ولأن البشارة بإسحاق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام"(1).

وقال ابن عاشور في ترجيح أن الذبيح إسماعيل عليه السلام: "وهذا الغلام الذي بشر به إبراهيم هو إسماعيل ابنه البكر، وهذا غير الغلام الذي بشره به الملائكة الذين أرسلوا إلى قوم لوط في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ فلذلك وصف بأنه (عليم) وهذا وصف بـ (حليم) وأيضا ذلك كانت البشارة به بمحضر سارة أمه، وقد جعلت هي المبشَرة في قوله تعالى: (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا) فتلك بشارة كرامة، والأولى بشارة استجابة دعائه، فلما ولد له إسماعيل تحقق أمل إبراهيم أن يكون له وارث من صلبه، فالبشارة بإسماعيل لما كانت عقب دعاء إبراهيم أن يهب الله له من الصالحين عطف هنا بفاء التعقيب، وبشارته بإسحاق ذكرت في هذه السورة معطوفاً بالواو عطف القصة على القصة"(2).

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى: "اعلم وفقني الله وإياك: أن القرآن العظيم قد دل في موضعين، على أن الذبيح هو إسماعيل لا إسحاق؛ أحدهما في الصافات، والثاني في هود.

أما دلالة آيات الصافات على ذلك فهي واضحة جداً من سياق الآيات، وإيضاح ذلك أنه تعالى قال عن نبيه إبراهيم: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ

---

(1) تفسير أبي السعود ٧/٢٠٠.

(2) تفسير ابن عاشور ١٤٩/٢٣.

ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [الصافات: ٩٩-١١٠] قال بعد ذلك عاطفاً على البشارة الأولى: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الصافات: ١١٢] فدل ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشر به في الثانية لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحاق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضاً: وبشرناه بإسحاق، فهو تكرار لا فائدة فيه يترّه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشَّر به أولاً الذي فُدي بالذبح العظيم، هو إسماعيل، وأن البشارة بإسحاق نص الله عليها مستقلة بعد ذلك، وقد أوضحنا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧] الآية، أن المقرر في الأصول أن النص من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم إذا احتمل التأسيس والتأكيد معاً، وجب حمله على التأسيس ولا يجوز حمله على التأكيد إلا لدليل يجب الرجوع إليه.

ومعلوم في اللغة العربية أن العطف يقتضي المغايرة، فآية الصافات هذه دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسماعيل لا إسحاق، ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحاق يقيناً عُبر عنه في كلها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم.

وأما الموضع الثاني الدال على ذلك ذكرنا أنه في سورة هود فهو قوله تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ

﴿٧١﴾ [هود: ٧١] لأن رسل الله من الملائكة بشرتها بإسحاق، وأن إسحاق يلد يعقوب، فكيف يعقل أن يؤمر إبراهيم بذبحه وهو صغير، وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب.

فهذه الآية أيضاً دليل واضح على ما ذكرنا، فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلة القرآنية على ذلك. والعلم عند الله تعالى"[١].

وترجيح القول بأن الذبيح إسماعيل عليه السلام لا يلزم منه نقص أخيه إسحاق عليه السلام فإن الله تعالى أثنى عليه بالعلم والنبوة والبركة وأنه من المصطفين الأخيار وأن الله تعالى خصه بخالصة ذكرى الدار: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [ص ٤٥-٤٧] ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الصافات ١١٢، ١١٣]

* * *

(١) أضواء البيان ٦/٤٧١.

الخاتمة

أحمد الله عز وجل وأشكره أن وفقني لكتابة هذا البحث الذي جمعت فيه حديث القرآن الكريم عن الأخوين النبيين؛ إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، دراسة تفسيرية موضوعية، وقد خلصت في نهاية البحث إلى النتائج التالية:

١- ورد ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام مقترنين، وورد ذكرهما منفردين.

٢- ذكر إسماعيل عليه السلام اثنتا عشرة مرة، وإسحاق عليه السلام سبع عشرة مرة.

٣- اجتمع ذكر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام في ثمان سور؛ هي: البقرة، آل عمران، النساء، الأنعام، إبراهيم، مريم، الأنبياء، ص.

٤- انفرد إسحاق عليه السلام بالذكر في ثلاث سور؛ هي: هود، يوسف، العنكبوت.

٥- وصت البشارة بإسحاق عليه السلام بالغلام العليم دون التصريح باسمه في سورتي: الحجر والذاريات.

٦- جميع الآيات التي ورد فيها ذكر إسحاق عليه السلام كان مقترناً بذكر والده إبراهيم عليه السلام ومتصلاً به، ولم يرد الحديث عنه منفرداً.

٧- في سورة يوسف عليه السلام: كان الحديث عن يعقوب عليه السلام وأبنائه فلم يرد فيها ذكر لنبينا إسماعيل عليه السلام.

٨- اقتصر الحديث في سورتي هود والعنكبوت على إسحاق عليه السلام لمناسبة التبشير به بعد الحديث عن لوط عليه السلام.

٩- كان الحديث في سورة الصافات عن إبراهيم عليـــه الســـلام وقومه ثم جاءت البشارة بالغلام الحليم ثم البشارة بإسحاق مما يدل علـــى التغاير بين البشارتين.

١٠- مرجع الضمير في ﴿عَلَيۡهِ﴾ في قوله تعالى في سورة الصافات الآيـــــــة ١١٣ ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ﴾ يعود على إسماعيل عليه الســـلام المـــأمور بذبحـــه، وضـــمير ﴿ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ يعود على الولدين الصالحين إسماعيل وإســـحاق عليهمـــا السلام.

١١- تقدم ذكر إسماعيل عليه السلام علـــى أخيـــه إســـحاق في موضعين من سورة البقرة يدل على عظم شأنه، وشرف ما قام بـــه مـــن المشاركة في بناء البيت لموقف بني إسرائيل من نبوة نبينا محمد صـــلى الله عليه وسلم.

١٢- الآيات الثلاث في سورة البقرة التي ذكر فيها إسحاق عليـــه السلام كان ذكره فيها مقترناً بذكر أبيه وأخيه إسماعيل عليهما السلام.

١٣- تقديم ذكر إسماعيل عليه السلام على أخيه إســـحاق عليـــه السلام في حال الاقتران يدل على أن إسماعيل أسن من إسحاق عليهمـــا السلام.

١٤- اقتران ذكر إسحاق عليه السلام بذكر والده إبراهيم عليـــه السلام يدل على أنه لم ينفرد عنه، ولم يخص بشيء.

١٥- انفراد إسماعيل عليه السلام بالذكر استقلالاً في أربعة مواضع، يدل على فضله وعلو مترلته، واختصاصه بشي ميزه على غيره.

١٦- في سورة الأنعام الآية (٨٤) تقدم ذكر إسحاق على إسماعيل

عليهما السلام الذي جاء ذكره في الآية (٨٦) لمناسبة ذكر ما منَّ الله عز وجل به على إبراهيم عليه السلام من جعل النبوة في ذريته فعطف على إسحاق ابنه يعقوب مباشرة. والله أعلم.

١٧- في السور المكية تأتي المنة على إبراهيم عليه السلام بهبة إسحاق ويعقوب لما خصهما الله تعالى به من مجاورة أبيهما وأنسه بهما بخلاف إسماعيل عليه السلام فإنه خص بجوار البيت وأعظم به من جوار.

١٨- اختصاص إسماعيل عليه السلام بالرسالة دون إسحاق عليه السلام، فإسماعيل عليه السلام أرسل إلى جرهم الذي نشأ بينهم، بخلاف إسحاق عليه السلام فإنه كان مع والده في بيئة مؤمنة.

١٩- التصريح برسالة نبينا إسماعيل عليه السلام والجمع له بين وصفي النبوة والرسالة في آية واحدة لإثبات هذه المترلة، بخلاف إسحاق عليه السلام فهو نبي فقط.

٢٠- تعدد الصفات التي مدح بها إسماعيل عليه السلام: رسولاً نبياً صادق الوعد يأمر أهله بالصلاة والزكاة، مرضياً عند الله تشهد لكونه الذبيح.

٢١- لعل لاشتهار الأمر في كون إسماعيل عليه السلام هو الذبيح لم يصرح باسمه في سورة الصافات؛ وسياق الآيات فيها يدل على أنه هو الذبيح.

٢٢- الثناء على إسماعيل عليه السلام بالصبر يشهد لكونه الذبيح؛ قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأنبياء/٨٥] بخلاف إسحاق عليه السلام فقد ورد وصفه بالنبوة والعلم فقط.

٢٣- ذكر هبة الله عز وجل إسحاق ويعقوب لإبراهيم عليهم السلام بعد نجاة لوط عليه السلام من قومه كما في سورة هود وسورة الأنبياء يدل على تأخر البشارة بهما، بخلاف البشارة بالغلام الحليم إسماعيل فإنها متقدمة بعد هجرة إبراهيم مباشرة.

٢٤- جاءت البشارة بإسماعيل عليه السلام مرة واحدة بعد دعاء إبراهيم عليه السلام ربه تعالى بأن يهب له من الصالحين، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات/١٠٠، ١٠١] وهذه البشارة مسبوقة بحرف العطف الفاء مما يدل على تقدمها وأنها بعد الهجرة مباشرة.

٢٥- البشارة بإسحاق عليه السلام ورد ذكرها في أربع سور؛ سورة هود، والحجر، والصافات، والذاريات، كانت البشارة في سورة هود بولادة إسحاق وبعده يعقوب، والتبشير لإبراهيم عليه السلام أولاً ثم لامرأته مع زيادة البشارة بيعقوب ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا﴾، وفي سورة الحجر والذاريات البشارة لإبراهيم عليه السلام بالغلام العليم دون ذكر اسمه، ولا البشارة بعقبه، مع زيادة تعجب امرأة إبراهيم عليه السلام، والبشارة بنبوة إسحاق ذكرت في سورة الصافات خطاباً لإبراهيم عليه السلام، والمتأمل في هذه الآيات يرى أن التبشير بإسحاق عليه السلام وقع مرة واحدة لكن كل سورة ذكر فيها زيادة على غيرها فتحصل من هذا أن البشارة بإسحاق عليه السلام تضمنت البشارة بالعلم والنبوة والعقب وهذه الأوصاف الثلاثة ترجح أن إسحاق عليه السلام ليس هو الذبيح إذ كيف يبشر بعلمه ونبوته وعقبه ثم يؤمر إبراهيم عليه السلام بعد ذلك بذبحه لما بلغ معه السعي، ومن قال بغير ذلك تكلف أوجهاً بعيدة في الجمع بين

هذه البشارات، بخلاف إسماعيل عليه السلام فإنه وصِف وقت البشارة به بالحلم، ثم بعد قصة الذبح وصِف بالنبوة والصبر وصدق الوعد كما سبق بيانه.

٢٦- تكرر ذكر البشارة بإسحاق عليه السلام لأنه ولد لإبراهيم عليه السلام من زوجه سارة وهي عجوز عقيم، وهو وقت البشارة شيخ كبير، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات/٢٩، ٣٠] فهو أمر مستغرب عجيب تعجبت منه امرأة إبراهيم عليه السلام فقالت: ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود/٧٢].

٢٧- السور الثلاث التي ذكر فيها إسحاق عليه السلام باسمه دون أخيه إسماعيل عليه السلام كلها سور مكية؛ ولعل الحكمة من ذلك التسلية لنبينا صلى الله عليه السلام بأن الله عز وجل سينصره ويحفظه كما نصر إبراهيم عليه السلام وحفظه، وفيها أيضاً تحذير المشركين من عاقبة إيذاء نبينا صلى الله عليه وسلم.

وبعد فأسأل الله سبحانه أن يكون عملي في هذا البحث خالصاً لوجه الكريم، وأن يغفر لي ما حصل فيه من نقص وسهو.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *